

اصدارات انصار الامام المهدي عليه السلام / العدد (١٩٧)

وقفات

مع صحيح البخاري

(الوقفة الأولى)

بقلم

الأستاذ ضياء الزيدي

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

لمعرفة المزيد حول دعوة السيد أحمد الحسن عليه السلام

يمكنكم الدخول إلى الموقع التالي:

www.almahdyoon.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوقفة الأولى

الصحة والأصحاب

الإهداء

إلى من لي الفخر .. بل لا فخر إلا هو

انتسب إليه ... وإن كنت لا أستحق

لكن ..

لو كان البحر مداد لكلمات ربي

التمهيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف خلقه أجمعين محمد وآل بيته الطاهرين ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

قبل الدخول إلى بحث (الصحبة والأصحاب) لابد من الوقوف على ثلاثة نقاط مهمة:

١. معنى الصحبة والأصحاب.

٢. معرفة منزلة صحيح البخاري وصاحبه.

٣. منزلة المكذب بالحديث لشريف.

معنى الصحبة والأصحاب:

الصحبة والأصحاب والمصاحبة كلها متأتية من صحب، أي رافق وسائر، وهي على معنيين؛ الأول: لغوي، وهو ما أشرنا إليه، والثاني: اصطلاحى، فأما الجانب اللغوي فكل من سائر ورافق كان صاحب سواء كان المصاحب جماد أو حيوان أو إنسان.

فتقول صاحب الدار والمعمل فكونها مرتبطة به صاحبه وهو صاحبها، كما تجد لفظ صاحب الدابة والحيوان وغير ذلك.

كما أن المساورة والمرافقة بين الإنسان لا تشترط وحدة العقيدة أو اتحاد درجة المعرفة والإيمان، فكما يمكن أن يصحب المؤمن المؤمن ممكن أن يصحب الكافر والفساق أيضاً، وهذا واضح بكتاب الله في موارد متعددة، منها:

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾ [الكهف: ٣٧].

بل إنا وجدنا القرآن سمي الكفار أصحاب رسول الله، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

وضمن هذا الفهم للصحبة (بالمعنى اللغوي)، فلا قدسية ولا كرامة فيها، فإذا وصلنا إلى الصحبة بمعناها الاصطلاحي الديني ففيها من القدسية والكرامة منزلة عظيمة جداً تقصر عن بلوغها الكرامات، وأي فضل أشرف وأعظم من مسايرة أعظم خلق الله أجمعين. والذي استعملناه في هذا البحث المعنيين (اللغوي والاصطلاحي)، فتبين.

البخاري وصحيحه:

البخاري، هو: محمد بن إسماعيل، ولد في مدينة بخارى من نواحي سمرقند، سنة ١٩٤ هـ تقريباً، نشأ يتيماً فريته أمه.

تنقل في طلب الحديث بين مكة والمدينة والعراقين والشام ومصر، له عدة مؤلفات منها ما هو موجود مطبوع ومنها المفقود، (الأدب المنفرد، رفع اليدين في الصلاة، القراءة خلف الإمام، بر الوالدين، خلق أفعال العباد، المسند الكبير، التفسير الكبير، التاريخ الكبير...). وهو من أجل وأعظم الرواة عند السنة والجماعة قالوا في مدحه الكثير.

امتاز بكتابه (الجامع الصحيح) المعروف بصحيح البخاري، فقد أثنى عليه المتقدمون والمتأخرون، بل وصفه بعضهم بأنه أصح كتاب بعد كتاب الله، وعليه من الثناء والمدح ما يخرج كتاباً كاملاً.

والذي يهمنا هنا أنه سمي بالصحيح لأن السنة (الأغلب من أبناء العامة) يقولون بصحة جميع ما ورد فيه، وهذا ما صرح به نفسه، حيث قال: (أخرجت هذا الكتاب الجامع من نحو ستة مائه ألف حديث وصنفته في ستة عشر سنة وجعلته حجة في ما بيني وبين الله عز وجل ما ادخلت فيه إلا ما صح وتركت من الصحاح لأجل الطول وما وضعت فيه حديثاً إلا)^(١).

الذي يهمننا هنا هو أن البخاري أصح كتب الحديث عند مجموعة كبيرة، فالاستدلال به يكون بأصح استدلال وأصح حديث، ولا يعني هذا أن بقية كتب الحديث لم تذكر هذه الأحاديث، كما أن ترقيم الأحاديث لصحيح البخاري كان على نسق وترقيم (ابن حجر العسقلاني في كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري)، ونصوص البخاري وأرقام الصفحات فاعتمدت على طبعة دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٤٣١ هـ في مجلد واحد قام بتحقيقه أحمد زهوة وأحمد عناية.

منزلة مكذب الحديث:

لا بد من معرفة أن محمد (صلى الله عليه وآله) سيد الأكوان، وأقرب خلق الله لله، وعليه فإن التكذيب في حديث رسول الله هو تكذيب لأعظم خلق الله، ويعد هذا الذنب أعظم ذنب في الوجود، ولهذا فإن جزاءه جهنم من غير أي قيد أو تفصيل، فمن كذب في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلا شفاعة له؛ لأنه اتخذ شفيعه خصمه والعياذ بالله.

وقد تواتر عن سيد الأكوان: (من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار)، ولا تتصور عزيزي القارئ أن هذا الحديث يخص من وضع الحديث الكاذب فقط، بل كل من كذب بحديث ورد عن رسول الله فهو مشمول بهذا الحديث؛ لأنه كذب على رسول الله بنفي حديثه (صلى الله عليه وآله)، فلا يملك التعصب الأعمى على التكذيب على رسول الله سواء بوضع الحديث عليه أم بنفي حديث عنه، والله يشهد أنني ما كتبت هذا الا لأتقرب به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

رزقني الله قربه وطلب الهداية لأمة محمد (صلى الله عليه وآله)، والله من وراء القصد هو حسبي ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وسلم تسليماً.

المقدمة

إذا كان الإنسان سليم البصر رأى الدرب، ولكن إن كان الشخص أعمى ومن يقوده أعمى سقط الاثنان في حفرة كما قال عيسى بن مريم (عليه السلام).

كل ما يطلبه طالب الحق أن ينظر لما وافق كتاب الله وسنة المعصوم الذي لا يخرج الناس من هدى ولا يدخلهم في ضلال، وهذا ما يطلبه البحث من القارئ الكريم، أن ينصف ما ورد فيه ومعرفة آي القرآن وقول الرسول (صلى الله عليه وآله)، وإن كان يتعلق بشخصيات عظيمة (كالبخاري)، وهل يكفي أن نقول عظيم من غير أن ترى وتقف على قوله وفعله؟!!

أيها الناس، ما من عظيم إلا من وافق القرآن والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، هذا هو العظيم في المفهوم الديني الإسلامي، وعليه فلا بد من معرفة آي القرآن في موضوع معين ومعرفة قول الرسول فيه أولاً، ثم معرفة فعل وتصرف الإنسان الفلاني أو المجتمع الفلاني، ومن ثم يكون الحكم على الإنسان أو المجتمع، ولا يشذ من هذه القاعدة أي إنسان كائناً من كان وإن كانوا في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهذا من الأمور الواضحة، وقد اتفقت كلمة المسلمين على أن في الصحابة منافقين، وقد ذكرهم الله تعالى في غير موضع من القرآن الكريم.

والحق أن نظرة عجيبة غريبة يحاول أن ينشرها الإسلام الأموي الوهابي وهي التي تشارك الإسلام الأميركي في محاولة هدم الدين من الداخل.

اليوم الإسلام الوهابي يحاول أن يعش أبصار الناس من أبناء مدرسة الصحابة (السنة والجماعة)، وينشرون الضبابية في أفكارهم لكي لا يستبينوا الطريق، كما ويحاولون نشر ثقافة (صموا أسمعكم عن قول الروافض).

وكان القرآن لم يقل: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

وكذلك من القواعد التي يؤسس لها هذا الفكر أن الشيعة أو الروافض (كما يحلو لهم التسمية) يطعنوا في كل الصحابة ويسبونهم وإن أرادوا الاستثناء فيستثنون أربعة.

والحق أن الشيعة بريؤون من هذا الافتراء، وسبحان الله ترى من يصدقهم مع أن الشيعة قاطبة تزور الإمام السجاد وأبناءه **(عليهم السلام)** يوم الثلاثاء بهذا النص: **(اللهم صل على محمد خاتم النبيين، وتمام عدة المرسلين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين)** ^(١).

هنا النص يجعل الصحابة المنتجبين محل لصلوة الله، ودع هذا وانتقل إلى زيارة الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس **(عليهما السلام)**، فنجد أن هذه الزيارة التي يزور بها ملايين الشيعة تقول: **(أشهد وأشهد الله أنك مضيت على ما مضى عليه البديون والمجاهدون في سبيل الله المناصحون له في جهاد أعدائه المبالغون في نصرة أوليائه)** ^(٢).

فإن كان الصحابة كلهم محل لغضب الله عند الشيعة فما معنى هذه الكلمات، ومن هم البديون، ومن هم (المناصحون، المبالغون في النصرة)، حتى إن أبا الفضل العباس مضى على ما مضوا عليه ولكن:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ولابد من إيضاح معتقد الشيعة في الصحابة، أو قل لمن كان في زمن النبي، وهو على ثلاث أصناف:

١. من وردت في حقهم المدح والفضل أو نالوا شرف الشهادة، وهؤلاء عليهم صلوات من ربهم ورحمة.

٢. من لم يرد في حقهم مدح ولا قدح، فيحرم بحق هؤلاء الطعن أو السب أو الانتقاص منهم ومن خاف ذلك فقد فارق في هذه النقطة سنة المصطفى **(صلى الله عليه وآله)**.

١- مفاتيح الجنان: زيارة يوم الثلاثاء.

٢- مفاتيح الجنان: زيارة أبي الفضل العباس **(عليه السلام)**. ولابد من الالتفات إلى أن هذه هي الزيارة الوحيدة المنفصلة في المفاتيح أي أن الذي يريد الزيارة يقرأها، فانتبه.

٣. من ورد في حقهم القدح والذم أو بدلوا وخالفوا سنة المصطفى وسنوا البدع عن علم وقصد وهم المنافقون، فأولئك عليهم اللعنة من الله تبارك وتعالى ورسوله والمؤمنين. هذه عقيدة الشيعة الإمامية.

والى بعض صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) المنتجبين أشار السيد أحمد الحسن (عليه السلام) في فقرة الاستبدال من كتاب (العجل) ^(١) بقوله:

[كَذَّبَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ وَأَهْلُ مَدِينَتِهِ وَعُلَمَاءُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ الشُّيُوخُ وَرُؤَسَاءُ الْقَوْمِ، وَلَكِنْ آمَنَ بِهِ وَقَبِلَهُ الْغُرَبَاءُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الطَّيِّبَةِ الْمُبَارَكَةِ يَثْرِبَ، وَآمَنَ بِهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمُسْتَضْعَفُونَ وَالشَّبَابُ، وَهَكَذَا اسْتَبَدَلَ اللَّهُ عُلَمَاءَ الدِّينِ وَرُؤَسَاءَ الْقَوْمِ وَبَعْضَ مَنْ كَانَ يَدْعِي أَنَّهُ يَنْتَظِرُ بَعَثَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) بِآخِرِينَ هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) الْمُنْتَجِبُونَ الَّذِينَ قَدِمَهُمْ أَمَامَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَقُتِلَ مَعْظَمُهُمْ فِي حَيَاتِهِ شُهَدَاءَ مُحْتَسِبِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب: ٢٣.

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح: ٢٩.

هؤلاء ثلة غيروا وجه التاريخ وبيضوا وجه الإنسانية، جعفر بن أبي طالب، وأبو دجانة الأنصاري، وحنظلة غسيل الملائكة، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، والمقداد، وعمار، وجندب بن جنادة، وسلمان المحمدي الفارسي الأصل وكثيرون غيرهم، ربما لم يذكر التاريخ لبعضهم اسماً ولا رسماً ممن حاربوا الفساد والمفسدين، ولم يطلبوا علواً في الأرض، معروفون في السماء مجهولون في الأرض، فطوبى لهم وحسن مآب وجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير

١ - كتاب العجل: ج ١، السيد أحمد الحسن (عليه السلام)، أحد إصدارات أنصار الإمام المهدي (عليه السلام).

الجزء لنصرهم دين الله في أرضه، ونصرتهم لسيد الأنبياء وسيد الأوصياء محمد وعلي عليهما وعلى آلهما صلوات ربي وسلامه].

ولكن كلامنا هنا ليس مع كتاب شيعي أو مؤلف شيعي، بل لا يميل إلى التشيع أساساً، فالبحث هذا تناول الشيخ البخاري صاحب كتاب الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، وقد حرصنا على أن يكون هذا البحث عن صحيح البخاري حصراً، فهو لا يخرج عن كلام الله وصحيح البخاري، فمن شاء أن يعرف ما رواه البخاري في الصحابة ومعنى الصحبة، ثم معرفة هل صحيح أن الصحابة كلهم عدول أو لا؟! لينظر ما يقوله رسول الله (صلى الله عليه وآله) في رواية البخاري.

وفي الختام أقول: إنّ هذه دعوة لمعرفة سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من صحيح البخاري في مفهوم الصحبة وبيان من هم الأصحاب والله من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين، واللعنة الدائمة على أعدائه أجمعين من بدء الخلق إلى يوم الدين.

ضياء الزيدي

٢٥ رجب الاصب ١٤٣٢ هـ

المبحث الأول:

الصحبة والأصحاب

إن أولى الناس بالتزام تعاليم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هم رواة الأحاديث الشريفة، وإلا فإن فقد الراوي الالتزام بها أمسى من المنافقين، وكان ممن يتكلمون وينقلون ما لا يعملون ويعتقدون، والمنافقون في الدرك الأسفل من جهنم.

ثم تأتي المهمة الثانية للرواة، وهي ترسيخ سنة المصطفى (صلى الله عليه وآله) في نفوس الناس ونشرها بينهم.

قال تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

والآن لننظر سوية كيف تعامل البخاري في صحيحه مع ما رواه في (الصحبة والأصحاب)، فهل التزم الإمام البخاري في ما تعارف بين المسلمين خصوصاً والعقلاء عموماً (إن الراوي للشيء هو أولى الناس بالتزام بما روى).

وللصحبة معنى عظيم بمفهومها الاصطلاحي الإسلامي، بل وعظيم جداً، فالتشرف بصحبة سيد الأكوان شرف ما بعده شرف، حتى قال المصطفى الأجد (صلى الله عليه وآله) فيهم: (لا تسبوا أصحابي، فلو انفق أحدكم مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)^(١).

١- صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي باب ٣٤ ح ٣٦٧٣ ص ٧٤٥. لا بد من التنبيه هنا أن إطلاق كلمة (صحيح) هو لاعتقاد جمع كبير من أبناء مدرسة الصحابة بصحة جميع ما جاء فيه، ونحن لما نطلقها نظيفها إلى البخاري، أي الصحيح باعتقاد البخاري وإلا فليس كل ما رواه ثابت عندي، والله الحمد والمنة.

فهل هذا المدح العظيم من رسول الله يشمل كل من كان في زمن الرسول من الصحابة حتى المنافقين، أم هو مخصوص بالمؤمنين منهم فقط ؟ والجواب قطعاً أنه لا يشمل المنافقين، وإلا لخالف القرآن الكريم، وهذا مما فهمه الصحابة، بل وصرحوا فيه في مواطن كثيرة، منها:

ما جاء عن سلمان الفارسي، فقد قصده الأشعث بن قيس، وجريير بن عبد الله البجلي، حيث قالوا: (دخلنا عليه (أي على سلمان المحمدي) في ناحية المدائن، فأتيا مسلماً عليه وحياه، ثم قالوا له: أنت سلمان الفارسي ؟ قال: نعم، قالوا: أنت صاحب رسول الله ؟ قال: لا أدري، فارتابا وقالوا: لعله ليس أنت الذي نريد. قال لهما: أنا صاحبكما الذي تريدان، رأيت رسول الله وجالسته وإنما صاحبه من دخل معه الجنة فما حاجتكما^(١)).

ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن العلاء بن المسيب، عن أبيه، قال: (لقيت البراء ابن عازب، فقلت: طوبى لك صحبت النبي (صلى الله عليه وآله) وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا بن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده)^(٢).

ولأجل هذا وضع أهل البيت (عليهم السلام) قاعدة لشيعتهم ومحبيهم، مفادها: (لا تكونوا سبايين ولكن اذكروا فعال القوم).

والفرق بين من عقل، فالسباب هو الطعن والتشهير للانتقاص، أما ذكر الأفعال فهو منهاج لبيان الصواب من الخطأ، أو قل ميزان لإعطاء كل إنسان منزلته من غير أن ترفع من شأنه أو تحط من قدره. أي عدم اكساء هالة القدسية إلا للمقدس، ولا مقدس إلا بطاعة الله وطاعة رسوله ومن أمرا بطاعتهم.

والآن لننظر إلى ما قدمه لنا البخاري في مفهوم الصحابة، فقد عرفه في صحيحه فقال: (من صحب النبي (صلى الله عليه وآله) أو راه من المسلمين فهو من أصحابه)^(٣).

١- المعجم الكبير - للطبراني: ج ٦ ص ٢١٩ ح ٦٠٥٨، تحقيق السلفي مطبعة الموصل ط ٢ / ١٩٩٠ م.

٢- صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ح ٤١٧٠ ص ٨٤٤.

٣- صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي، باب فضائل أصحاب النبي، ٢٩/١ ص ٧٤٠.

فنجد البخاري هنا يريد أن يدخل كل من رأى النبي وتشهد الشهادتين فهو من الصحابة، وهو كما ترى تصريح واضح بأنه لا يشترط سوى رؤيا النبي وتلفظ الشهادتين، فالجميع يدخلون بحالة قدسية (الصحابة عند البخاري وإن كان تلفظ بالشهادتين نفاقاً) ^(١).

والحق أن البخاري في تعريفه هذا للصحابة لم يقم اعتباراً لكلام الله تعالى، حيث يقول عز وجل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

وهؤلاء الأعراب سماهم الله مسلمين ورفض أن يكونوا مؤمنين، في حين نجد ذكرهم في موضع ثانٍ وقد وصفهم الله بالكفر رغم كونهم مسلمين: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧ - ٩٨].

الأعراب كأنموذج لا الحصر وهذا بين، كما أن من الأعراب مؤمنين: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٩٩].

إذن فالقرآن الكريم سمي المنافقين مسلمين، وقد أجمعت كلمة المسلمين على هذا، فكيف جاز للبخاري أن يدخل الجميع في هذا الشرف العظيم (شرف الصحبة) من غير أن يميز بين المؤمن والمنافق؟

ثم إن المسلمين قاطبة اجتمعت كلمتهم على أن المنافقين في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) كانوا متسترين ولا يعلمهم إلا الله ورسوله والقلة القليلة ومن الذين يعلمونهم حذيفة بن اليمان (صاحب سر رسول الله في المنافقين) كما أسماء أصحاب السير والتاريخ، وحذيفة بن اليمان كان مقياس الإيمان من النفاق لا أقل في نفوس بعض الصحابة كعمر بن الخطاب.

١- لا بد من التنبيه أن إرسال مفهوم الصحبة عند البخاري لم يذهب إليه الكثير من أبناء العامة بدأ من مسلم في صحيحه، حيث اشترط الإيمان لا الإسلام في الصحابي ولم يكتف ثلث بهذا الشرط أيضاً فاشترط مدة من الصحبة معتد بها (أن يكون صحبه صحبة يعتد بها).

فنجد تارة يسأل حذيفة هل ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) اسمه مع المنافقين، وتارة أخرى نراه يراقب حذيفة بن اليمان إذا مات أحد الصحابة فإن صلى عليه حذيفة صلى عمر عليه، وإن لم يصل عرف أنه أحد المنافقين.

وقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٢٨ - ٣٠].

فالمنافقون في داخل المجتمع المسلم بل هم ممن امتزجوا به وتداخلوا فيه، فهل يقبل عاقل أن يترك شرط الإيمان لا أقل من ذلك.

أقل ما في الأمر أن يتخذ مقياس يمكن أن يصدقه الناس كما اتخذ عمر بن الخطاب حذيفة ابن اليمان ^(١) مقياس، لكن البخاري يغض الطرف عن أي شرط ليجعل معنى الصحبة (اصطلاحاً) معنى عاماً يدخل فيه الجميع ليستقيم الأمر للأمويين وإن قتلوا الحسين (عليه السلام)، وإن أباحوا مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإن ضربوا الكعبة المشرفة بالمنجنيق وأحرقوها.

١- لمعرفة سبب اعراض البخاري عن هذا المقياس لا بد من معرفة أن حذيفة بن اليمان كان من أتباع علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشهد معه معاركه واستشهد معه في معركة صفين، فمقياس الإيمان والنفاق قاتل الأمويين وكان من جملة من قتله الأمويون.

المبحث الثاني:

مع ما رواه البخاري

وأنقل في هذا المبحث من معتقد البخاري في الصحبة - وقد سبق - إلى ما رواه في صحيحه تحديداً، لنرى مدى التطابق بين ما يعتقد وما يرويه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وأول ما ننف عنده ما رواه في كتاب الرقاق عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجالاً منكم ثم ليختلجن دوني فأقول يا رب أصحابي؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

ثم تكررت هذه الرواية ^(١) عن حذيفة بن اليمان، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجالاً منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك) ^(٢).

هنا نجد نص صريح من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأن رجال من أصحابه يعرفهم ويعرفونه يكون مصيرهم النار ولا يردون حوض رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فماذا يقول البخاري بهذا الكلام من رسول الله، هل إن الله ظلمهم سبحانه وتعالى عن ذلك، أم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كذب عليهم - استغفر الله من ذلك -، أم هم مستحقو النار ^(٣).

١- نجد الرواية بسندٍها في صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٥٧٦ ص ١٣٣٤.

٢- صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب (واتقوا فتنة...)، ح ٧٠٤٩ ص ١٤٢٩.

٣- يعرف من طالع علم الجرح والتعديل إن متن هذا الحديث من أصح المتنون عندهم فهو حديث متضمن ببيان العلة.

والحق أن الحديث بيّن الجزاء كما أنه بين العلة (ما أحدثوا بعدك)، ويا ليت البخاري وقف عند هذا لكنا عذرناه أو وجدنا له احتمال عدم العلم أو المعرفة، لكنه عاد لينقل لنا أحاديث أخرى، منها: ما جاء عن سهل بن سعد، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظماً أبداً. ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم) ^(١).

وحدث ابن أبي عياش بهذا الحديث، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (..... فأقول إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن غير بعدي) ^(٢).

وأود من القارئ الالتفات إلى: (أعرفهم ويعرفوني)، والالتفات ثانياً إلى: (أقوام)، ثم الالتفات ثالثاً إلى: (سحقا سحقا) من قول الرسول الأعظم. وأخيراً إلى كلمته (صلى الله عليه وآله): (غير بعدي).

تفكر في هذه الألفاظ ومداليلها، لكن لنستمر الآن وما يرويه البخاري في صحيحه، وهذه المرة عن أبي هريرة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلّون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري) ^(٣).

وهنا أيضاً لا بد للقارئ من التعمق في البعد اللفظي للمفردات التي جاءت في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومنها علة البناء للمجهول في مفردة: (فيحلّون)، ومنها عبارته (صلى الله عليه وآله): (أنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري)، والمزاوجة بين عبارة: (أحدثوا بعدك)، وعبارة: (ارتدوا)، وسنقف إن شاء الله على هذا.

١- صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٠٨٣ ص ١٣٣٥.

٢- صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٥٨٤ ص ١٣٣٥.

٣- صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٥٨٥ ص ١٣٣٥.

إلى هنا تبين لنا أن كبار الصحابة رووا هذا المعنى لأحاديث مختلفة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والحق أن هذا المعنى من الحديث الشريف كان مستفاضاً بين الصحابة لنجد أن سعيد بن المسيب وهو تابعي ينقله (عن أصحاب النبي) لشهرته فيهم عن النبي (صلى الله عليه وآله): (يرد علي الحوض رجال من أصحابي فيحلثون عنه، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري) ^(١).

وهذه الأحاديث كلها نصوص صريحة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من باب إن من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) (بالمعنى اللغوي) كما تقدم في التمهيد من يكون مورده النار وذلك بسبب ما بينه رسول الله (أنهم ارتدوا بعده)، بل إن حركة الارتداد هذه لا تنكشف إلى الناس عامة إلا بعد ورودهم على الحوض، انتبه للحديث السابق: (إني فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك) ^(٢).

ولنقف وقفة قصيرة لبيان بعض دلالات الأحاديث:

١. إن الأحاديث الشريفة جاءت بالبناء للمجهول، وهذه الملاحظة يجب الالتفات إليها وملاحظتها، ومعرفة ما المقصود منها، ومن هو الفاعل المحذوف، ولماذا جاء البناء للمجهول وحذف الفاعل؟
٢. إن المشمولين بهذه الأحاديث هم (مجملة الصحابة) بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) لا كما يتوهم بعضهم أنهم فئة قليلة، هذا بدليل ألفاظ أحاديث الرسول التي مرت علينا، منها شمولية كلمة (أصحابي)، فلم تأت الروايات مثلاً أنهم من أصحابي أو أنهم فرد أو قلة من أصحابي أو ما شاكل ذلك، ومنها ما دل صراحة على العموم والكثرة، مثل لفظ (أقوام) جمع قوم.

١- صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٥٨٦ ص ١٣٣٥. وفيه (إنه كان يحدث عن أصحاب النبي)، وحديث أبي هريرة بعده مباشراً.

٢- صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب واتقوا فتنة لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة، ح ٧٠٤٩ ص ١٤٢٩.

والقوم الجماعة من الناس، أي كأن الرسول قال جماعات جماعات، وهذا تعبير دقيق جداً من الرسول، وذلك لأن ورودهم جهنم كان لأسباب عدة وإن كان يجمعها كلمة (ارتدوا).

٣. وهذه الملاحظة حول كلمة (بدلوا)، أو (أحدثوا)، أو (ارتدوا)، أي أن هؤلاء الصحابة استحدثوا بدعة وطمسوا سنة المصطفى (صلى الله عليه وآله) وأحدثوا بدلها سنة ابتدعوها، وهذا ما أشارت إليه التعابير النبوية السابقة (بدلوا)، (أحدثوا)، (غيروا).
فالتبديل وضع شيء مكان شيء آخر، وكذلك التغيير في هذا الموضع، وواضح معنى الإحداث بإيجاد شيء حديث لم يعرف في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يشمل أن هذا الأمر لم يسن أو يقنن من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٤. وهذه هي الملاحظة الأخيرة، وهي في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من **بعدهك**)، ويمكن انفتاح النص على مداليل مستقبلية ونفسية نفاقية من جهة ثانية، بل وترتيب تصاعدي في العمل النفاقي من جهة ثالثة.

والآن لنرتب حصيلة هذا المبحث والملاحظات السابقة على الأحاديث التي أوردها البخاري، أولها عدم صحة ما أورده البخاري من تعريف الصحبة؛ لأننا وجدنا أن أغلبهم سيرتد بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يخرج من هذا العموم إلا القليل. ويكون سبب الارتداد من دين المصطفى (صلى الله عليه وآله) ودخولهم جهنم هو تبديل سنة المصطفى (صلى الله عليه وآله) وإيجاد بدعة يسنونها بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله). وهذا التبديل يكون السبب بعدم شمولهم بشفاعة المصطفى، بل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يحتمل قريهم، بل نجده يقول لهم: (سحقاً سحقاً).

وأخيراً إن هذه السنة المماتة التي تكون سبباً لارتداد الصحابة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخيراً إن هذه السنة المماتة التي تكون سبباً لارتداد الصحابة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يكتب لها أن تأخذ حيز الوجود العملي إلا بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهذا ما تشير إليه الروايات السابقة: (من **بعدهك**)، أو (بعدهك).

فالذي يحول بين الأصحاب المرتدين وبين حوض رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو رجل صاحب حق يغتصب حقه بعد رسول الله، وسيتضح أنه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولهذا جاء التعبير بالبناء للمجهول، ولو ذكره رسول الله (صلى الله عليه وآله) صراحة في هذه الأحاديث لم تصل إلينا، وسيأتينا ما يشفي الغليل في بيان هذه النقطة بالتحديد، فهؤلاء الذين غيروا سنة المصطفى مكروا مكرهم.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وهم لا يعلمون أن مكرهم ينقلب عليهم^(١).

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَمَكْرٌ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

* * *

١- للوقوف على معرفة هذه الآية المباركة راجع (كتاب المتشابهات) و(اضاءات من دعوات المرسلين) - للإمام أحمد الحسن (عليه السلام).

هل من مزيد

نار جهنم مستعرة الآن بأعمال العباد، وغداً بأجسادهم، فهل من عاقل يخلص نفسه من تنفس جهنم ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

أيها الناس، كل من خالف رسول الله (صلى الله عليه وآله) مورده جهنم إن قربت لحمته أو بعدت، كان ممن عاصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو لا، فشريعة سيد المرسلين جارية على الجميع ولا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى. والتقوى أن تسير بطاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإلا فالنار. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: يا رسول الله، ومن أبي؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي) ^(١).

والصحابا لا يشذون عن قاعدة رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه، بل لا أبالغ إن قلت هم أولى الناس بهذه القاعدة؛ لأن الخطاب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لهم مباشرة ثم يتحول إلى من جاء بعدهم إلى يوم القيامة.

والروايات السابقة أوضحت هذه القاعدة، فكونهم بدلوا أمسى موردهم النار لا الحوض. ولمزيد من الإيضاح كي لا يبقى عذر لمعتذر نسير في سرد الروايات التي ذكرها البخاري في صحيحه، وإن حاول إبعادها عن باب الحوض الذي مر علينا سابقاً، وهذه المرة عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: (إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ: "كما بدأنا أول خلقاً نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين"، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنهم

لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت شهيداً عليهم ما دمت فيهم إلى قوله الحكيم^(١).

وفي حديث ثانٍ وبسند ثانٍ عن ابن عباس، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال وقد خطب الناس: (أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً، ثم قال: "كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين" إلى آخر الآية، ثم قال: ألا وأن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وأنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: "وكنت عليهم ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم"، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم^(٢).

وفي رواية ثالثة عن ابن عباس بسند مغاير لما تقدم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خطب النبي فقال: (إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً، "كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين"، ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا أنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ به ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: "وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيه" إلى قوله: "شهيداً"، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم^(٣).

الحديث مشهور ومروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) بشكل مستفيض وكرره حتى إنه خطب بهم لكيلا يقول قائل إن كل الصحابة في الجنة، ولكن الأمر الملفت للنظر في هذه الأحاديث الثلاثة هو قوله:

(إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين منذ فارقتهم).

(إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم).

١- صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلاً"، ح ٣٣٤٩ ص ٦٨٠.

٢- صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب وكنت عليهم ما دمت فيهم، ح ٤٦٢٥ ص ٩٣٦.

٣- صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب كما بدأنا أول خلق نعيده، ح ٤٧٤٠ ص ٩٧٤.

أي إن هذه البدعة التي سنوها بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأحدثوها كما مر علينا سابقاً لم يتوبوا منها ولم يتراجعوا عنها (لم يزالوا منذ فارقتهم)، أي بمعنى آخر أنها أمست سنة عندهم، بل ومن معتقداتهم التي يحافظون عليها لا أن يتوبوا منها ولا تكشف للجميع بصورة علنية إلا بعد صدهم عن الحوض، وقد مر علينا في أكثر من مكان (حتى إذا أهويت لأناؤهم)^(١)، وسيأتي البيان الشافي إن شاء الله لهذه النقطة.

ولنتقل الآن إلى رواية جديدة رواها البخاري في صحيحه، وهذه المرة عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (بيننا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم. فقلت: أين. قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري. ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين. قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)^(٢).

ولابد من إلفات القارئ إلى أن هذا الحديث آية واضحة جامع لكل ما تقدم، فهو يتقلب بين التصريح في أكثر المواطن وبين التلميح، ويمكن ملاحظة ما يلي:

١. إن خروج الصحابة عن دين الله بعد النبي يكون جماعات جماعات أو زمراً زمراً، ويمكن أن يلحظ في هذا التقسيم الجماعي (زمراً زمراً) العدالة الإلهية، وسيأتي بيان ذلك.

٢. لو تفكر الإنسان بنوع هذا الذنب أو هذه البدعة التي أحدثوها لوجد أنها في أصل العقيدة قطعاً؛ لأن جزء هذا الذنب خروجهم عن الدين وأمسا مرتدين، فكان جزاهم (إلى النار والله)، ولعل القارئ يسأل كيف بدلوا في أصل العقيدة ولم ينكر الصحابة الذات الإلهية وصفاتها أو النبوة وما يلحقها أو المعاد وتفاصيل يوم القيامة، والجواب سيأتي.

١- راجع المبحث السابق.

٢- صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٥٨٧ ص ١٣٣٥ - ١٣٣٦.

٣. نلاحظ هنا تبدل الأسلوب البياني بتبديل ألفاظ الحديث، فبدل البناء للمجهول الذي رأيناه في الأحاديث السابقة انتقل هنا إلى استعمال أثر تحديداً وإن كان مبهماً، فبدل اختفاء الفاعل مطلقاً وجدناه هنا (رجلاً) لم يحدده رسول الله صحيح لكنه بين أنه إنسان رجل محدد هو الذي يسوق الصحابة إلى النار، فلا يسلم منه إلا مثل همل النعم^(١).

ولمزيد من البيان أقول: بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقعت حركة ارتداد جماعية كما يقول رسول الله بهذه الأحاديث، فلا يسلم منهم إلا مثل همل النعم، وتحديد (بعدك) أي بعد رسول الله؛ لأنه يتعلق بأمر الخلافة، لأنها لا تكون إلا بعد وفاة رسول الله، ولهذا جاء في الروايات أن رجلاً يسوقهم إلى النار؛ لأنها حقه وأمرها متعلق به وذنبهم الذي ارتكبه يكون مع هذا الرجل تحديداً، وبما أن ذنوب العباد لا تخلو من: أولاً: أن يكون الذنب بين العبد وربه فيكون ظالماً لنفسه.

ثانياً: أن يكون الذنب بين العبد وإنسان آخر فيكون ظالماً لغيره.

والنوع الأول تقع فيه شفاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أما النوع الثاني فلا تقع فيه الشفاعة؛ لأنه متعلق بمظلوم. وأقل ما يقال في الأحاديث السابقة أنها من النوع الثاني، ولهذا لم تقع شفاعة المصطفى لهم بل على العكس من ذلك وجدنا رسول الله يقول لهم: (سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي).

والآن لنجمع خلاصة ما مضى من أحاديث المصطفى (صلى الله عليه وآله):

١. إن حركة الارتداد وقعت بعد النبي (صلى الله عليه وآله).
٢. إن حركة الارتداد كانت على أثر تبديل سنة المصطفى وإحداث سنة ابتدعوها لم يسنها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فرفعوا سنة وثبتوا بدعة.
٣. إن حركة الارتداد كانت في أصل العقيدة.

١- ومعنى همل النعم الواردة في الحديث الشريف تعني الأنعام والمواشي التي تخرج عن قطيعها فتضل طريقها، ولك أن تتصور قلة نسبتها، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) هنا يقول إن الذين يسلمون من الارتداد بنسبة همل النعم أي بنسبة المواشي التي تضل عن قطيعها وهي أقل من القليل.

٤. إن حركة الارتداد تشمل أكثر الصحابة، فيرتدون جماعات جماعات أو زمراً زمراً، بل لا يسلم من الارتداد إلا مثل همل النعم.

٥. إن الصحابة عامة والأمة بشكل أعم لم يتوبوا من هذا الذنب الذي كان سبباً لارتدادهم (لم يزالوا مرتدين منذ أن فارقتهم).

٦. إنهم استحقوا السخط والطرده من رحمة الله ولا تنالهم شفاعة المصطفى، بل قال فيهم (سحقاً سحقاً).

٧. إن رسول الله يقول (وكنتم شهداء عليهم)، أي إن الذنب يتعلق بخليفته وهو الشهيد على الأمة عامة والصحابة بصورة خاصة بعد النبي.

٨. إن هذا الخليفة أو الوصي أو الولي أو الشهيد هو (الرجل) الذي يسوق الذين ارتدوا إلى النار.

وبعد هذا نقول: حاول أيها القارئ أن تجمع هذه النقاط في ذنب محدد لمعرفة بأي ذنب وقع الصحابة فكان الارتداد عن الدين ورجوع القهقري لكي يمكننا أن لا نقع بهذا الذنب، فلا نقع بالنتيجة التي وقعوا بها. ولن تجد ذنب محدد يجمع هذه النقاط التي ذكرها رسول الله إلا مسألة (خلافة رسول الله) أو ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) التي بلغ بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأعلنها على الملأ في غدير خم.

فالخلافة المطلقة لا تكون إلا بعد المستخلف، فلا تكون إلا بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، وهي السنة الإلهية التي أوضحها رسول الله (صلى الله عليه وآله) (الولاية الإلهية)، والتي بدلها الصحابة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) وأحدثوا بدعة (الشورى والانتخابات)، وبهذا أماتوا سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) (الولاية الإلهية) وأحدثوا بدعة (الشورى والانتخابات)، فكان عليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

ومعلوم أن منصب الولاية العامة من أصل العقيدة، وهذا مما اتفق عليه السنة والشيعة وإن اختلفوا بالأشخاص فهي من أصل العقيدة ومرتكبها من أهل النار، وهذا الذنب الذي وقع فيه جميع الصحابة بعد النبي إلا من عصم الله. أما ارتدادهم جماعات جماعات أو زمراً زمراً فلأن

العدالة الإلهية اقتضت عدم المساواة بين المؤسسين لهذا الارتداد وبين الساعين فيه وبين الراضين عنه وبين الساكتين غير المعترضين عليه، وهذا هو سبب الحشر على دفعات لجهنم، ولم تقل الأحاديث أنهم يساقون إلى جهنم دفعة واحدة^(١)، والله العالم والحاكم.

أما من ناحية النقطة السابقة فلأن الأمة أمسى اعتقادها هذه البدعة التي شرعها لهم هؤلاء المرتدين بعد الرسول، فأمسى (أبناء العامة)^(٢) تعتقد أن مبدأ الشورى والانتخابات هو الذي سنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يعلمون في الأعم الأغلب أنها البدعة التي تسببت بارتداد الصحابة وأنهم أماتوا السنة الصحيحة (الولاية الإلهية) ولهذا أنهم لم يتوبوا.

وأعتقد أن الذي يطالع النقاط السابقة يقطع بهذا الأمر، وهنا أعود لأكرر أن هذا الكلام وهذه الأحاديث من كتاب محمد بن إسماعيل البخاري في كتاب الجامع الصحيح المعروف بـ (صحيح البخاري) فقط.

وفي ختام هذا المبحث أود التنبيه أن حركة الارتداد مستمرة في أمة محمد (صلى الله عليه وآله) ما داموا سائرين على بدعة الشورى ومعرضين عن سنة الولاية الإلهية.

ولا تظن أيها القارئ أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم ينبّه إلى هذه المسألة، فقد أورد البخاري عن أبي مليكة، عن أسماء أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (أنا على الحوض انتظر من يرد علي فيؤخذ بناس من دوبي، فأقول: أمتي، فيقول: لا تدري مشوا على القهقري)^(٣).

هنا في هذا الحديث اختلف التعبير الرسالي بأن الذي يساق إلى النار هي (أمة محمد)، والسبب ما قدمنا من اعتقاد الأمة بالبدعة ونبد السنة، كما أن هناك قرينة متصلة على هذا في الحديث هي قوله: (مشوا على القهقري).

١- هنالك إشارات أخرى في هذه الكلمة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أن هذا المحل مختص بهذه النقطة.
٢- من الإنصاف أن نشير إلى أن ما وقعت فيه أمة السنة في أول الزمان هو إنكار وصية رسول الله وأولهم هو علي بن أبي طالب فأمسوا مرتدين عن دين الله المصطفى هو نفسه ما وقعت فيه أمة الشيعة في آخر الزمان فقد أنكروا الشطر الثاني من وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في إقرار المهديين من ذرية الإمام المهدي وأولهم سيدنا الإمام أحمد الحسن (عليهم السلام).
٣- صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب ما جاء في قوله تعالى: "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة"، ح ٧٠٤٨ ص ١٤٢٩.

إن اختلاف المخاطب يستلزم اختلاف الخطاب، فلأن التعبير هنا يخص الأمة جاء التعبير الرسالي (مشوا على القهقري)، في حين أنا وجدنا التعبير في الأحاديث السابقة والتي كان المخصوص بها الصحابة كان التعبير (ارتدوا على أديبارهم القهقري)، فالصحابة بعد النبي انقلبوا على حكم الرسول فيهم وبدلوه بسنة (ابتدعوها وأحدثوها)، ولذا كان التعبير (ارتدوا)، أما بالنسبة إلى الأمة بعد الصحابة فلا يمكن التعبير عنهم بأنهم ارتدوا؛ لأنهم لم يباشروا سماع الرسول (صلى الله عليه وآله) في إمامة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بل يكون التعبير عنهم بأنهم ساروا على خط الارتداد، أو حسب التعبير النبوي على قائله آلاف التحية والسلام: (مشوا على القهقري)، وهذا هو الذنب الذي يوردهم النار، ولا حاجة إلى التكرار إن البناء للمجهول عاد هنا في الحديث؛ لأنه لم يذكر الرجل (الوصي) حفاظاً على الحديث من الضياع.

* * *

من هو الولي

لا شك أن خطوط البحث اتضحت، وتبين أن البخاري جانبه الصواب بصورة واضحة جلية، وأن الصحابة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) - بشكل عام لا مطلق - أمسوا مرتدين؛ لتعرضهم لما حرم عليهم من سلب خلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهنا نطالب بالمزيد من الإيضاح من صحيح البخاري على هذه النقطة بالتحديد، أي ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليأتينا الجواب منه بما رواه مصعب بن سعد، عن أبيه، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله لعلي (عليه السلام): (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) ^(١).

ثم إن البخاري بموضع آخر من صحيحه ينقل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) ^(٢)، وهذا النص المقدس حامل من انفتاحية الإيحاء إلى درجة عالية جداً سنشير هنا إلى بعضها، مؤجلين استعراض القسم الثاني إلى الوقفة الثانية مع البخاري: (وصية رسول الله في صحيح البخاري) إن شاء الله، ويمكن ملاحظة الإشارات التالية من الحديث:

١. وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب وهذا واضح، فيكون هارون وصي موسى ووزيره وخليفته في قومه ثابتة كحقيقة تاريخية وقرآنية لا يمكن إنكارها.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

[الاعراف: ١٤٢].

١- صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، ح ٤٤١٦ ص ٨٨٨ - ٨٨٩.
٢- صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي، باب علي بن أبي طالب، ح ٣٧٠٦ ص ٧٥٣.

وقال تعالى حكاية عن موسى **(عليه السلام)**: ﴿وَاجْعَلْ لِي وِزيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٢٩ - ٣٦].

فما معنى (أخلفني في قومي)، وما معنى (واجعل لي وزيراً). والحق أن من طالع كتب أحاديث رسول الله **(صلى الله عليه وآله)** قطع بورود هذين اللفظين منه في علي ومعهما في هذا الورد لفظ (وصي) أيضاً، فمن كتب الحديث روى هذه الألفاظ الثلاث: (خليفة)، (وصي)، (وزير) أساطين الرواة كالحاكم في المستدرک على الصحيحين، وأحمد بن حنبل في مسنده، والترمذي في سننه، وأبي داود في سننه، والطبراني في معجمه الكبير، والهندي في كنز عماله، وغيرهم.

وتظافر على رواية هذه الألفاظ الثلاث أصحاب التاريخ كالطبري في تاريخه، وابن الأثير في كامله، والمسعودي في مروجہ، واليعقوبي في تاريخه، والخطيب البغدادي في تاريخه، وابن عساکر في تاريخه، وابن كثير في بدايته.

ومن أصحاب السير يمكن أن نجد هذه الألفاظ الثلاثة في أحاديث رسول الله **(صلى الله عليه وآله)** بحق علي بن أبي طالب **(عليه السلام)** كابن هشام في سيرته، والحلي الشافعي في سيرته. والحال ذاته في تفاسير القرآن الكريم بالمأثور كالطبري والثعالبي والسيوطي وابن كثير، وكذا في علوم القرآن وأسباب النزول وغيرها ^(١).

٢. ومن إشارات الحديث أن الإيمان برسول الله **(صلى الله عليه وآله)** لا يكون إلا بالإيمان بهارون هذه الأمة علي بن أبي طالب **(عليه السلام)**، وهذا ما أثبتته القرآن الكريم لهارون بني إسرائيل.

قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل الذين فهموا هذه النقطة: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١ - ١٢٢].

١- أعرضنا عن ذكر المصادر مع توفرها بإذن الله؛ لأن البحث مخصوص بالبخاري فقط، وإلا فإن الوقوف عليها ميسور إن شاء الله.

فلم يكتفوا بذكر موسى (عليه السلام) بل لا بد من الإقرار بذكر هارون جهرًا، بل إنا نجد تقديم لذكر هارون: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠].

وهذا التقديم لاسم هارون له سر، ولعل أحد وجوه الحكمة فيه يعرفه من عرف كيف يكون الدخول لمدينة رضى الله وكيفية الانتهاال من الفيض الإلهي، وإلا كيف يكون الدخول إلى المدينة إلا من الباب، فهارون (عليه السلام) هو باب الدخول لطاعة موسى (عليه السلام)، وعليه فلا بد من الإيمان بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) للإيمان برسول الله. ولهذا وجدنا الأحاديث السابقة تقول إنهم ارتدوا عن الدين، وأكد رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذا المعنى بأكثر من حديث، ومنها قوله (صلى الله عليه وآله): (أنا مدينة العلم وعلي باجها) ^(١)، بل إن البيعة لرسول الله لا تتم إلا بالإقرار بحق علي بن أبي طالب، وسيأتي هذا من صحيح البخاري.

٣. من إشارات حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) السابق هو وجوب طاعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) على كل الأمة طاعة بكل ما يأتي به علي (عليه السلام) كما فرض الله طاعة هارون على أمته: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ.....﴾ [يونس: ٧٥]، ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي.....﴾ [الأعراف: ١٤٢].

ولو كان البخاري منصفاً لنقل لنا معشار ما نقله أبناء العامة من أقوال رسول الله في علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره. فنجد البخاري ينقل لنا من حيث لا يشعر ما أوجب الله في طاعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما رواه أبو هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني، ومن عصى أميرى فقد عصاني) ^(٢).

ولا بد هنا من الإشارة إلى دلالة إيجابية ودلالة لفظية في هذا الحديث الشريف، أما الدلالة الإيجابية هي أن الحديث أشار إلى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) معصوم عن الخطأ، وإلا

١- التوحيد للصدوق: ص ٣٠٧، المستدرك للحاكم النيسابوري: ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٧.

٢- صحيح البخاري: كتاب الاحكام، الباب الأول، ح ٧١٣٧ ص ١٤٤٣.

فإن طاعة الأمر في الخطأ منهي عنه بصورة واضحة جلية. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):
(السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) ^(١). بل لو أطاعوا من يأمرهم بالمنكر يخلدون في النار (لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً إنما الطاعة في المعروف) ^(٢).

ولذا فلا بد أن يكون الذي طاعته طاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعصيته معصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشكل مطلق لا بد أن يكون معصوماً، بحيث لا يخرج الناس من هدى ولا يدخلهم في ضلال كما كان هارون النبي (عليه السلام).

أما من حيث الدلالة اللفظية، فاتصال الياء في لفظ (أميري) ليكون الانتساب لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، والارتكاز الذهني يقضي بأن يكون محمداً ممن نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أي أمير بعينه، (وهذا ما رواه أعلام رواة أحاديث السنة، كالحاكم في المستدرک على الصحيحين، والذهبي في التلخيص، فقد أورد الحديث بالنص على علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني) ^(٣).

وهذا ما أشار إليه الرسول في مواطن كثيرة، ومنها ما أشار إليه بقوله: (من كنت وليه فعلي وليه) ^(٤)، وهذه هي النقطة الثالثة من الإشارات التضمينية لحديث رسول الله لعلي (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى).

٤. إن علي بن أبي طالب كان أطوع مخلوق لسيد المرسلين كما كان هارون أطوع إنسان لموسى الكليم (عليه السلام)، ولهذا كان لا يذكر نفسه باستغفار إلا ذكر هارون معه: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

١- صحيح البخاري: كتاب الاحكام، باب السمع والطاعة للأمير ما لم يأمر بمعصية، ح ٧١٤٤٤ ص ١٤٤٤.
٢- إشارة إلى حديث ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صحيح البخاري: كتاب الاحكام، باب السمع والطاعة، ح ٧١٤٥٥ ص ١٤٤٤.
٣- المستدرک على الصحيحين - الحاكم النيسابوري: ج ٣ ص ١٢١؛ والذهبي في تلخيصه. وقد صرحا بصحته على شرط الشيخين مسلم والبخاري ولم يخرجاه.
٤- مسند أحمد: ج ٥ ص ٣٥٠، السنن الكبرى للنسائي: ج ٥ ص ٤٥.

بل إن موسى أقر بملك هارون وفناء هارون بموسى يتصرف فيه كما أراد (عليهما السلام):
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥].

وقد أثبت رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الفضيلة لأمر المؤمنين تلميحاً في أكثر من مورد منهما الحديث الذي نحن بصددده: (بمنزلة هارون من موسى).

بل ولا يكتفي (صلى الله عليه وآله) بالتلميح ويعمد إلى التصريح كما ينقل لنا البخاري قول الرسول لعلي: (أنت مني وأنا منك) ^(١).

وقال الرسول (صلى الله عليه وآله) في حديث طويل عن البراء: (وقال لعلي: أنت مني وأنا منك) ^(٢).

ومعلوم لأصحاب اللغة العربية أن تعبير رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكثر عمقاً وأبعد غوراً من منزلة هارون لموسى في الآية السابقة؛ لأن المسير والاتجاه في الآية أحادي الجانب يرجوع هارون لموسى، أما حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاتجاه تبادلي (علي لرسول الله) و (رسول الله لعلي). وسنقف في الحلقة القادمة على هذا الحديث إن شاء الله.

وإن شئت عرجنا على ما فيه الفصل وبه القطع في إثبات منزلة وصي موسى لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل وأعظم.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

الذين يؤمنون بكتاب الله فقط نقول لهم: هذه شهادة من الله أن علي بن أبي طالب هو نفس رسول الله، فهل أنتم مؤمنون !

١- صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب علي بن أبي طالب، الحديث الأول ص ٧٥٢.

٢- صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، ح ٤٢٥١ ص ٨٥٧ - ٨٥٨.

أجمعت كلمة المسلمين على أن (أبناءنا) في الآية منصرفة إلى (الحسن والحسين)، وأن (نساءنا) منصرفة إلى (الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء)، وأن لفظ (أنفسنا) منصرف إلى (علي بن أبي طالب)، ولمن ينكر ذلك أقول له: تعال (نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) !

وبعد هذه الشهادة من الله كيف يمكن لعاقل يحترم عقله أن يقدم ويفضل إنسان كائناً من كان على علي بن أبي طالب، وهو بشهادة القرآن نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فاحذروا أن تكونوا ممن يدخل بهذه الآية: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

٥. ومن إشارات الحديث الشريف هو أن سبب ارتداد الصحابة (وقد مر علينا نصوصها من البخاري) كان سبب معصية علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو ما نحن بصدده، وقد قص علينا القرآن الكريم بما لا يقبل الشك أن بني إسرائيل ارتدوا على أديبارهم؛ لأنهم عصوا هارون وصي موسى بعد غياب موسى:

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٨٣ - ٩٤].

ونؤجل الكلام إلى المبحث السابع إن شاء الله.

المبحث الخامس:

سبب الارتداد ورجوع القهقري

وهنا نستمر في استعراض ما قدمنا في البحث السابق أن سبب (الارتداد) و(رجوع القهقري) التي وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله) بها الصحابة، وقد اتضح جانب منها أنها كانت بسبب نقض العهد الذي أخذ عليهم بالولاية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) التي أخذها رسول الله عليهم في مواطن كثيرة جمعها في يوم غدير (خم) ^(١).

حيث قال لهم من جملة كلامه (صلى الله عليه وآله): (ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والي من والاه وعادي من عاداه^(٢)).

علماً أن هذه الرواية من الروايات المتواترة عند أبناء العامة، ولذلك وجدنا روايات الحوض السابقة جاءت بقرينة لفظية متصلة، هي قول: (إنهم ارتدوا بعدك).

وكما تقدم لأنها تتعلق بخلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهي لا تكون إلا بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهذا ما أشارت إليه القرينة اللفظية في روايات الحوض: (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)، وذلك لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذ عليهم العهد في حياته وهم من خالف العهد بعد وفاة رسول الله، وهذا هو الذنب الذي لم يتوبوا منه؛ لأنهم أسسوا لسلب للخلافة بمبدأ الشورى والانتخابات، وأشارت إليه كلمة رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إنهم لم يزالوا مرتدين منذ أن فارقتهم).

١- غدير خم: هو ماء يتجمع عنده طرق الحبيج، وكان ذلك في حجة الوداع وفيها نزل قوله سبحانه: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي". كما أجمع عليه المفسرون فختمت بغدير لمن أراد الشرب.

٢- سيأتي هل روى البخاري هذا أم لا، ويأتي بيان الربط بهذا الموضوع تفصيلاً، وفيها يتضح العلاقة بروايات الحوض ورجوع القهقري بعد النبي (صلى الله عليه وآله) في الوقفة القادمة (وصية رسول الله في صحيح البخاري) إن شاء الله تعالى.

وتبين مما سبق أن أمة محمد بعد النبي ليسوا سواء، بل وجدنا الاختلاف بينهم - بين من أسس للارتداد وبين سائر الأمة - فنجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما يقول: (أصحابي أصحابي)، يأتي سبب الارتداد معللاً من الحديث نفسه، حيث نجد: (إنهم ارتدوا من بعدك على ادبارهم القهقري)، فهم الذين سمعوا كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخذ عليهم العهد فنقضوا عهدهم و (بدلوا) (من بعدك).

أما حينما يصل الأمر إلى الذين ساروا على نهج الذين بدلوا أي الذين ساروا على مبدأ الارتداد (الشورى والانتخابات) فنجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (يا رب، أمتي)، نجد إن الارتداد غير الذي سبق نجد علته هي: (إنهم مشوا على القهقري).

والحاصل من هذا وذاك أنهم لا يسلم منهم إلا مثل همل النعم، أقصد أمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله).

وأعود لتأكيد القول إن هذا كله جاء في صحيح البخاري لا من كتاب شيعي أو مؤلف شيعي أو يميل إلى التشيع لكي يسهل الطعن، كما أنها ليست رواية واحدة أو روايتين، بل هي متظافرة في البخاري، فلا يمكن الطعن بها بل إنا وجدنا أنها مشهورة في الصحابة، حتى إن الرسول كان يخطب في الناس، ووجدنا أن سعيد بن المسيب يقول كنا نحدث عن أصحاب رسول الله، إلى غير ذلك.

إلى هنا وجدنا جوانب الشبه بين أمة سيد المرسلين وبين أمة موسى الكليم في عدم إطاعة الوصي، بل إن أمة سيد المرسلين قاطعة بهذا الشبه.

والآن لنسير في جمع المبحثين الثالث والرابع لنقف على التفصيل بين الشبه بين هارون أمة سيد المرسلين (علي بن أبي طالب)، وبين هارون بني إسرائيل؛ لنخرج بمدى تطابق ارتداد الصحابة عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما ارتدوا عن هارون أمة موسى. وأول ما يطالعنا بالشبه

هو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) آخى بين المهاجرين والأنصار واصطفى علياً لنفسه في المؤاخاتين، ولم ينل هذا الشرف إلا علي (عليه السلام) ^(١).

ومن تأكيدات رسول الله (صلى الله عليه وآله) على هذا الشبه أنه لما سئل عن تسمية الحسن قال له جبرائيل: سمه شبر على اسم ولد هارون. قال له: يا حبيبي يا جبرائيل، لساني عربي، فقال له: سمه حسن. وكذا الحال في تسمية الحسين يقابل شبر من أولاد هارون ^(٢).

ومن أوجه الشبه إن ذرية موسى الكليم كانت من أبناء هارون، فموسى الكليم لم تكن له ذرية وامتداد إلا من صلب أخيه هارون، وهذا ما نجده في ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ذرية علي، ولهذا نجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يؤكد دائماً: (إن ابني هذا)، (إن ابني)، (ولداي هذان)، وغير ذلك الكثير مما أعرضنا عن ذكره لشهادة الله سبحانه لهما أنهما أبناء رسول الله حين قال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١].

ومن أوجه الشبه للحديث السابق من رسول الله (صلى الله عليه وآله) - أعني حديث المنزلة الذي رواه البخاري - ومن الموارد التي أراد رسول الله ترسيخ هذه العقيدة في نفوس أصحابه خاصة والأمة بصورة عامة، هي الدعاء الذي دعاه رسول الله، حيث يقول برواية أسماء بنت

١- على سبيل المثال: روى الحاكم النيسابوري بسنده عن: (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما ورد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة آخى بين أصحابه فجاء علي رضي الله عنه تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة) المستدرک: ج ٣ ص ١٤.

٢- روى الشيخ الصدوق: (٢٠٩ / ٣ - عن زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: لما ولدت فاطمة الحسن (عليهما السلام)، قالت لعلي (علي السلام): سمه. فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله. فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأخرج إليه في خرقة صفراء، فقال: ألم أنهكم أن تلفوه في [خرقة] صفراء، ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها، ثم قال لعلي (عليه السلام): هل سميت؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه؟ فقال (صلى الله عليه وآله): وما كنت لأسبق باسمه ربي عز وجل، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن فاهبط واقرئه السلام وهنئه، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون. فهبط جبرئيل (عليه السلام) فهنأه من الله عز وجل، ثم قال: إن الله عز وجل يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون. قال: وما كان اسمه؟ قال: شبر. قال: لساني عربي. قال: سمه الحسن، فسماه الحسن. فلما ولد الحسين (عليه السلام) أوحى الله عز وجل إلى جبرئيل أنه قد ولد لمحمد ابن، فاهبط إليه وهنئه، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون. قال: فهبط جبرئيل فهنأه من الله تبارك وتعالى، ثم قال: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن هارون. قال: وما اسمه؟ قال: شبير. قال: لساني عربي. قال: سمه الحسين، فسماه الحسين) الأمالي: ص ١٩٨.

وروى الذهبي بسنده عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (إنني سميت ابني هذين باسم ابني هارون شبر وشبير) سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٢٤٧.

عميس: (سمعت رسول الله لما قال: "اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي" دعا رسول الله ربه وقال: "اللهم إني أقول كما قال أخي موسى: اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به أزمي")^(١).

أما حينما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ [طه: ٢٩]، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (اللهم اشدد أزمي بأخي علي)، فأجابه إلى ذلك، كما روى ذلك السيوطي في تفسيره للآية^(٢)، وهو كما ترى لا يحتاج إلى تعليق.

ولمزيد من الإيضاح نأتي بمثال ومن صحيح البخاري على ترسيخ هذه العقيدة في نفوس الصحابة بل كبار الصحابة عند أبناء العامة، وهو عمر بن الخطاب، فبعد أن يأتيه نبأ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) نراه ينهر ويضرب ويهدد كل من قال إن رسول الله مات، بل يقسم أن الرسول (صلى الله عليه وآله) سيعود من غيبته ولم يمض، فهو اختبار كما دخل بني إسرائيل في اختبار غيبة موسى (عليه السلام)، وإن الرسول سيعود ويقطع أيدي وأرجل المنافقين، بل إن عمر لم يصغ إلى أبي بكر عندما انتهره أكثر من مرة.

لم يكن هذا الموقف من عمر إلا لترسخ عقيدة التشابه والتداخل بين أمة سيد المرسلين وبين أمة بني إسرائيل، وبما أن عمر هو من أسس لمبدأ الشورى وعقيدة الشورى فهو أول من وقف بوجه (الولاية الإلهية) أو قل وصي محمد (صلى الله عليه وآله)، فهو على علم ودراية كاملة بأوجه الشبه وموقف علي (عليه السلام)^(٣).

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَيْنَ تَرْقُبَ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].

١- شواهد التنزيل للحسكاني: ج ١ ص ٤٨٠.

٢- الدر المنثور: ج ٤ ص ٢٦٥.

٣- ومن عجيب الأمور جرأة الذين يسلبون الخلافة على مر الدهور على الله عز وجل، فهم يعرفون حق المعرفة حق الولي، بل هي مترسخة في نفوسهم كما مر موقف الخليفة الثاني، وقد عاينت شخصياً أحدهم (أعني حيدر مشتت)، فبعد أن انشق على إمام عصره (أحمد الحسن) قابل السيد أحمد الحسن (عليه السلام) مع ثلة من جماعته، فقال حيدر مشتت للسيد قرب مسجد السهلة بل قرب باب المسجد: "أنت كجدك علي بن أبي طالب، فاجلس بدارك واقفل بابك عليك كما فعل عليه السلام". ولكن هيهات هيهات، فهذا يوم الله الأكبر، ويأبى الله أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

فقد غُصِبَ هارون وسُلب حقه ولم تُسَمَّع كلمته، وهنا سُسلب علي بن أبي طالب حقه، فقد خطط لسلب الخلافة منه. وكما قلنا سابقاً إن من تلميحات أحاديث الحوض احتواءها على مداليل وترتيب تصاعدي في العمل النفاقي.

وبمعنى آخر إن الإعداد لسلب الخلافة كان معداً ومخططاً له في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم أخذ بالتصاعد يوم بعد يوم كلما اقترب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أجله، وكان التخلف عن حملة أسامة بن زيد التي أدخلهم رسول الله فيها أحد حلقاته، وأخيراً اختتم التخطيط بالتنفيذ وسلبت خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولنعد إلى البخاري وصحيحه لنعرف هذا الكلام منه بما رواه عن عائشة زوج النبي وابن عباس سوية:

(إن ابا بكر خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس، فأبي، فقال: اجلس، فأبي، فتشهد أبو بكر فمال إليه الناس وتركوا عمر) ^(١).

ولنسأل ماذا كان يقول عمر واسكته أبو بكر؟

لمعرفة هذا الكلام لننظر الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة: (إن رسول الله مات وأبو بكر بالسنح فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله قالت وقال عمر والله ما كان يقع في قلبي إلا ذلك وليبعثه الله فليقطع أيدي رجال وارجلهم) ^(٢).

والآن ركز على: (ما مات رسول الله)، (والله ما يقع في قلبي غير ذلك)، (ليبعثه الله)، (ليقطع أيدي وأرجل)، والحق إن كل جملة تشير إلى دلالات عميقة نفسية وعقائدية أعرضنا عنها، كما أعرضنا عن سبب سكوت عمر عندما أمره أبو بكر بالصمت والسكوت في حين عدم سكوته للأمر الأول من أبي بكر في سقيفة بني ساعدة؛ لأن استعراضها يخرجنا عن صفة البحث.

١- صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا ادرج في اكفانه، ح ١٢٤٢ - ١٢٤٣ ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

٢- صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي، باب ٣٤ ح ٣٦٦٧ ص ٧٤٣.

ولنعود من جديد إلى عمر بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لنجده لما أكثر وأزبد بالإيمان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يمت وسيعود، قال له أبو بكر وهو يقول لعمر: (أيها الخالف على رسلك) ^(١).

وهنا تبين لنا ترسيخ العقيدة في نفس عمر (عقيدة تشابه ما كان في أمة موسى يكون في هذه الأمة). والحق إن هذا أفضل محمل يمكن أن يحمل عليه عمر، وإلا فإنه جاهل بأي القرآن الكريم، أي وكأنه لم يقرأ القرآن، لا الجهل بأية أو آيتين، بل وجاهل بشريعة سيد المرسلين، ولم يكن معه حين كان يكرر يوشك أن يأتي رسول ربي: (يوشك أن ادعى فأجيب)، (ما أرى إلا قرب أجلي). وغير ذلك الكثير، بل إن عذره وعذر من اعتذر عن المسير في حملة أسامة كذبة وغيرها الكثير، ولا نود الدخول فيه.

ولرب سائل يقول: إن كلام عمر بن الخطاب كان قبل استلام أبي بكر الخلافة، فلا مجال للاستدلال. ومن قرأ ما سبق عرف بطلان هذا الكلام، والشواهد على بطلانه أمور كثيرة، أولها إن أبا بكر وعمر اتجها مباشرة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى سقيفة بني ساعدة وتركوا رسول الله مسجى لم يدفن بعد بل لم يغسل.

ولو جمعنا رجوعهم من حملة أسامة وتركهم جنازة رسول الله واتجاههم إلى سقيفة بني ساعدة وتنازعهم بشكل صوري (بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة) لاتضح لنا الصورة، فسيد الأكوان يُترك وتؤثر الامارة عليه!

ومع هذا فاستمع لما يأتي ولا تحبس نفسك عن الفتح، إن الخلافة في زمن رسول الله لم تسلب عملياً، صحيح لكنها كانت مستلبة فعلاً، ومعنى آخر إن سلبها لم يقع لكنه بحكم المسلوقة، فقد كان الأمر مبيتاً ومخططاً له، وهذا هو ما دعى عمر أن يقول للنبي سيد الأكوان: (إن النبي يهجر) ^(٢).

١- صحيح البخاري: ح ٣٦٦٧.

٢- سننقف تفصيلاً على قول عمر بن الخطاب في الحلقة الثانية من وقفات مع صحيح البخاري (وصية رسول الله في صحيح البخاري).

ولندع هذا الحديث إلى مجال تفصيله، ولنتناول جانب ثاني يكشف لنا مخطط سلب الخلافة التي لم يكتب لها التنفيذ إلا بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، وكما شرطنا أن يكون من صحيح البخاري في حديث طويل أنقله لصلته بالموضوع:

(فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال تعالى: "انك ميت وانهم ميتون"، وقال: "وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين" آل عمران: ١٤٤، قال: فنشج الناس ليكون قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة فقالوا: "منا أمير ومنكم أمير" فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أتي قد هيأت كلاماً قد اعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه^(١)).

والآن لنعود خطوة إلى ما تقدم من البحث وكلام عمر تحديداً لنجده منفصلاً وغير مستقر ويتفوه بكلام غير صحيح ولا إسلامي أساساً، وأسكته أبو بكر أكثر من مرة.

ولنقل إن هذا كان من وقع مصيبة وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) !!!

ولنقل إن واقع المصيبة كان شديداً عليه فأفقدته صوابه وتلفظ بما تلفظ !!!

لكنه الآن يفاجئنا بكلام جديد انتبه لقوله: (إلا إني قد هيأت كلاماً أعجبني).

ولنسأل الآن متى أعد عمر خطبته التي أعجبته، هل أثناء المصيبة وصدمة، أم قبلها؟!

ودع عنك هذا، ولنقف على البعد اللغوي لكلمة: (أعجبني)، ليتضح لنا أن عمر بن الخطاب عمل على هذه الخطبة، فراجعها وقومها ووقف على الأمور التي يريد استعراضها، حتى يمكن أن

١- صحيح البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي، باب ٣٤ تابع لفضائل أبي بكر، ح ٣٦٦٨ ص ٧٤٤.

تطلق كلمة (كلام أعجبي)، وإلا فلا يمكن أن تطلق عليه كلمة أعجبي، وهذا واضح لكل من فهم كلام العرب.

والحق إن في هذا الحديث أمور عجيبة لا أريد الخوض فيها، ووالله لا ينكر هذا الحق إلا ظلمة أو كان للشيطان فيه نصيب. وبعد هذا ليس لي إلا أن أتلو عليكم كلام ربي سبحانه:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا * إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ﴾ [محمد: ٢٤ - ٢٩].

* * *

خير البرية

تبين مما سبق أن القرآن الكريم والحديث الشريف قاضيان بارتداد الصحابة، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ومن أحاديث الحوض الكثيرة نأخذ ما رواه البخاري عن أبي هريرة، قال: قال الرسول (صلى الله عليه وآله): (بيننا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم. فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: ارتدوا بعدك على أديبارهم القهقري. ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم. قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أديبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)^(١).

وكما قدمنا أن هذا في الأعم الأغلب من الصحابة بعد النبي لا كلهم، فرغم عموم لفظ الآية: (انقلبتم) فهي تشير إلى الكثرة الكاثرة، وقد أوضحها الحديث الشريف: (فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم).

والآن لنا أن نسأل: من هم الفائزون؟ وبتعبير آخر: من هم خير برية زمانهم؟ وما ضابط هذا الفوز، وما الدليل عليه؟

خير البرية في كل زمان من يتبعون من فرض الله ورسوله طاعته، وبعد رسول الله هو نفس رسول الله كما شهد القرآن (وأنفسنا) أعني علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهذا ما قطع به رسول الله (صلى الله عليه وآله) حينما نزلت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

١- صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، ح ٦٥٨٧ ص ١٣٣٥ - ١٣٣٦.

أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿البينة: ٧﴾، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي: (هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضابي مقمحين) ^(١).

إذن، فلا ينحوا من هذا الارتداد إلا من تابع علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ لأنه خير البرية هو وشيعته، وقد تقدم ما يدل على ذلك، ولا فوز إلا من ختم له بهذا الولاء والاعتقاد، ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (اصبروا حتى تلاقوني على الحوض) ^(٢).

ورسول الله هنا يركز على الحوض، ومر علينا في الروايات السابقة عن الحوض حتى إن البخاري جمع بعضها تحت عنوان (في الحوض)، وقد تبين لماذا هذا التركيز على الحوض؛ لأن صاحب الولاية الإلهية يحول بين الحوض وبين من سلب الولاية، فمن جاز هذه العقبة فاز ومن عثر بها هلك واستحق السحق واللعن من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولعل هناك من يقول إن حديث: (اصبروا حتى تلاقوني على الحوض) عام ولا شأن له في هذا المورد (مورد الولاية الإلهية). ونقول: لا تعجل وسيوافيك التفصيل.

ولكن لنعود هنا إلى حديث رسول الله الذي رواه سهل بن سعد، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم. قال أبو حازم: فسمعتي النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه: أنهم مني فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي) ^(٣).

١- انظر: الصواعق المحرقة: ص ٩٦.

والعجيب أن ابن حجر لما روى هذا الحديث في صواعقه المحرقة واعترف بصحته لم يبق عليه إلا أن يوجهه بغير توجيهه، فقال ما مضمونه: وشيعة علي ليس الروافض بل هم أهل السنة والجماعة، ولا أعلم كيف ذلك وشيعة علي في زمن رسول الله وبعده (صلى الله عليه وآله) يفضلونه ويقدمونه على كل إنسان كما هو حال سلمان المحمدي وأبو ذر الغفاري والمقداد وعمار الخ.

٢- صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي سترون بعدي أموراً تتكرونها، الحديث الأول ص ١٤٢٩.

٣- صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)، ح ٧٠٥٠، و ح ٧٠٥١ ص ١٤٢٩.

وهنا تبين أن موعد قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦ - ١٠٧].

فلقاء الحوض ينكشف للجميع وبشكل علني كل من نازع علماً حقه، وإذا جمعنا هذا بما سبق ينكشف لنا علة تقديم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ على ﴿الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾؛ لأن الأغلبية سقطت بهذا الاختبار والقلة القليلة هي من نجت، فالآية ناظرة لحجم انطباقها في المجتمع المسلم والله العالم والحاكم، تبين أن من نازع الأمر أهله ارتد عن الدين وكانت ميتته ميتة جاهلية، وهذا بعهد معهود من رسول الله، وقد تبين جانب من ذلك.

ونضيف لما تقدم حديث جنادة بن أبي أمية، قال: (دخلت على عبادة بن الصامت وهو مريض، قلت له: أصلحك الله حدثنا حديث ينفكك الله به سمعته من النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: دعانا النبي (صلى الله عليه وآله) فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان) ^(١).

ولا يخفي على القارئ اللبيب ما في الحديث من الدلالة النفسية واللفظية على حدٍ سواء، فقط ألفت نظر القارئ أن جنادة سأل عبادة بعبارة: (حدثنا بحديث ينفكك الله به)، فاختار عبادة هذا الحديث لصالح آخرته، بل إن عبادة بن الصامت كان يصرح بهذا الحديث ابتداءً كما في حديث آخر رواه البخاري قال فيه: (بايعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم) ^(٢).

وإلى الذين يقول ويعتقدون أن محمداً رسول الله أقول: بالله عليكم ما معنى قول الرسول بالحديثين: (ولا تنازعوا الأمر أهله)، والحديث مخصوص بمن يخلف رسول الله بقرائن متصلة، ولا

١- صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب سترون من بعدي أمور تنكرونها، ح٧٠٥٥، و ح٧٠٥٦ ص ١٤٣٠.

٢- صحيح البخاري: كتاب الاحكام، باب كيف يبايع الناس الإمام، ح٧١٩٩ - ٧٢٠٠ ص ١٤٥٦.

حاجة لنا باستعراضها بعد أن فهمها البخاري بهذا المعنى وذكرها في باب (كيف يبایع الإمام الناس). ولم يكن البخاري وحده بل وأصحاب الحديث كذلك.

ثم عُدُّ للحديث ثانياً لنجد أن رسول الله يقرن الإقرار بالنبوة - الإقرار بالولاية الإلهية - أو قل إن الإقرار بمحمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الإقرار بهارون هذه الأمة كما تقدم، أو قل إن إنكار الوصي تحديداً (تنازعوا الأمر أهله) خروج عن النبي ولا شهادة له، أو قل إن عدم الإقرار بالوصي تحديداً يعني لا تأخذ منه بيعة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) و .. و .. و .. الخ.

فأمر الإمامة في المفهوم الإسلامي بشقه الأعظم لا يخرج عن أمرين؛ هما:

١. التنصيب؛ أي أن يكون الأمر إلى شخص معين.
 ٢. الشورى؛ أي أن يكون هذا الأمر للمسلمين أين ما أرادوا وضعوه.
- والأمر الأول ذهب إليه أبناء الخاصة (الشيعة)، والأمر الثاني ذهب إليه أبناء العامة (السنة). وقد ناقشنا هذا تفصيلاً في الوقفة الثانية مع البخاري.

ورسول الله هنا في هذين الحديثين يشترط في بيعته أنه (رسول الله) أن (لا ينازعوا الأمر أهله) فمن لم يقبل الشرط لا بيعة له.

والآن هل أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم ترك الأمر شورى؟ اختر ما شئت، فإن رسول الله أخذ الشرط في الإقرار بنبوته.

ولندع هذا لنقف على تفصيل آخر من رسول الله رواه لنا البخاري في صحيحه عن جابر بن سمرة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (يكون اثنا عشر أمير. فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش) ^(١).

ولو جمعنا الحديث السابق مع هذا الحديث: **(لا تنازعوا الأمر أهله)**، و **(اثنا عشر إمام)** أو **(أمير)** يتضح لنا مراد رسول الله **(صلى الله عليه وآله)** ومن صحيح البخاري كما سبق وإن قلنا، فهو محدد بأمير المؤمنين وولده، وسنقف تفصيلاً على هذا المعنى في الوقفة الثانية مع صحيح البخاري رغم حرص البخاري على عدم ذكر إمامة علي بن أبي طالب في كتابه.

وهنا أود أن أسير مع القارئ وأسأل: هل أخبر رسول الله **(صلى الله عليه وآله)** لما سيكون بعده بشكل واضح صريح من غير استنتاج كما رأيناه في روايات الحوض؟

ويأتينا الجواب من البخاري في صحيحه. نعم، إن رسول الله بين ذلك بشكل واضح صريح بما رواه زيد بن وهب، عن عبد الله، قال: قال رسول الله **(صلى الله عليه وآله)**: **(إنكم سترون بعدي اثره وأمر تنكرونها)** ^(١).

ومن المعلوم أن (الاثرة) هي الاستئثار بأمر، وهي هنا الاستئثار بأمر الإمامة (بعد رسول الله، وتركيز رسول الله هنا على كلمة **(بعدي)** فيه جواب السؤال وانفتاح نص الأحاديث السابقة (أحاديث الحوض)، كما أن تعبير رسول الله **(تنكرونها)** دقيق جداً؛ لأنه يشير إلى معنى قلبي وفعل باطني لم يخرج إلى حيز الإنكار القلبي والعملي كما قد تشير لو قال مثلاً: **(ستنكرونها)**، أو **(تستنكرونها)**، أو ما شابه ذلك، وهذا ما يؤكد ما سبق من القول بأن ورود جهنم أو النار على دفعات؛ لأنهم غير متساوون بالذنب.

وهذا الحديث واضح بيّن في المطلوب، وهو أنهم سينازعون الأمر أهله، بل (تكون اثره) وهي ليست مطابقة لسنة رسول الله؛ لأنهم **(ينكرونها)** ولا يعترضون عليها عملياً، فهذا الحديث تبيان لأحاديث الحوض، بل الحق والحق واضح في قول رسول الله **(صلى الله عليه وآله)** إن هذا الحديث من أحاديث الحوض حسب ما رواه البخاري عن عبد الله بن زيد بن عاصم، عن رسول الله **(صلى الله عليه وآله)**: **(إنكم ستلقون بعدي اثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)** ^(٢).

١- صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب سترون بعدي أمور تنكرونها، ح ٧٠٥٢ ص ١٤٢٩.

٢- صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ح ٤٣٣٠ ص ٨٧١.

والآن عد لقراءة حديث رسول الله: (فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) التي مرت علينا سابقاً. ولنستمر في مسلسل عرض الأحاديث التي رواها البخاري في صحيحه وتوضيح هذه الحقيقة وهي ما جاء في حديث شريف يحمل من رقة التعبير ما لا يحمله غيره، وهذه المرة جاء عن طريق أبي هريرة عن رسول الله أنه قال: (إنكم ستحرصون على الامارة. وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئس الفاطمة) ^(١).

وينقسم كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) هنا إلى ثلاث فقرات:

١. الحرص على الامارة بعد النبي.

٢. هذا الحرص ندامة يوم القيامة.

٣. صفة الامارة (نعم المرضعة، وبئس الفاطمة).

والحرص نوعان في المفهوم الإسلامي: فإما أن يكون الحرص بحق، وإما أن يكون حرصاً بغير حق. ومن المقطوع به هنا في الحديثين أنه من النوع الثاني (بغير الحق)، وإلا لما كانت ندامة ولا كانت بئس الفاطمة.

ومن جانب آخر شمولية الحديث للأغلبية وإلا لما عم الأغلبية بما سيحرص عليه إلا ثلة قليلة.

والحاصل أنه ستكون اثرة في أمر الإمامة (الامارة)، وكما مر علينا سابقاً أنه ترتب على أثر هذا الحرص الخروج من الدين زمراً زمراً. نعم، سيتنعمون بها في الدنيا بعد الرسول فهي (نعم المرضعة) ما داموا فيها، لكن ستكون عليهم حسرة يوم القيامة؛ لأنها مخصوصة بأهلها ولا يحق لمسلم يؤمن بأن محمداً رسول الله أن ينازعها أهلها، وكما تقدم لأن الذي يستلمها يجب أن يكون معصوماً، بحيث لا يخرج الناس عن هدى ولا يدخلهم في ضلال، ولذا وجدنا رسول الله يقول إن الله يرضى لرضى أميرى ويغضب لغضب أميرى، فلو كان هذا الأمير يغضب للباطل أو أن يكون

١- صحيح البخاري: كتاب الاحكام، باب ما يكره من الحرص على الامارة، ح٧١٤٨ ص١٤٤٤ - ١٤٤٥ بسندين.

رضاه لغير الحق لما كان هذا الوصف يليق به ولا وصفه رسول الله بهذا الوصف وهو الذي أوتي
بجامع الكلم كما روى البخاري ^(١).

* * *

١- صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي (صلى الله عليه وآله): "نصرت بالرعب مسيرة شهر"،
ج ٢٩٧٧ ص ٦٠٤.

شبهة وردّها

مر علينا قول إن الإمام يجب أن يكون معصوماً، ومر علينا قول النبي (صلى الله عليه وآله):
(من أطاعني فقط أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني، ومن
عصى أميرى فقد عصاني).

وسواء وقع التلاعب في رواية البخاري وبالتحديد بمفردة (أميرى) أم لم يقع فإن رسول الله
(صلى الله عليه وآله) قال في حديث صحيح: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد
عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني)، وقد مر علينا سابقاً.

ويمكن أن يلتبس هذا المعنى في أحاديث كثيرة رواها البخاري، ولكن كيف يمكن دفع شبهة
وقوع الإمام في الخطأ في قول رسول الله الذي رواه البخاري عن ابن عباس: (من كره من أميره
شيئاً فليصبر فإنه من خرج عن السلطان شبراً مات ميتة جاهلية)^(١).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث آخر: (من رأى من أميره شيئاً فكرهه
فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية)^(٢).

ككيف يمكن الجمع بين خطأ الإمام الذي أمر رسول الله بالصبر عليه وبين العصمة التي
قرأناها في أحاديث سابقة من البحث، وفي الحديث السابق بالتحديد؟

والجواب إننا قلنا في بدء الكلام إننا لا نقر كل ما جاء في صحيح البخاري فهو غير ملزم لنا
وإن كان ملزم لغيرنا، ومع ذلك فإن هذين الحديثين أقرأ وجوب طاعة الأمير بكل ما ينطق ومن

١- صحيح البخاري: كتاب الاحكام، باب السمع والطاعة، ح ٧١٤٣ ص ١٤٤٤.

٢- صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب سترون بعدي أمور تنكرونها، ح ٧٠٥٣ ص ١٤٢٩. والحق أن مولانا وإمامنا
اليمني الموعود أدبنا على عدم رفض أي حديث ورد عنهم، ولنا أن نرد الحديث إليهم لنتبين صدقه.

خرج عن طاعته فمات مات ميتة جاهلية وهذه هي العصمة. نعم، روى أصحاب الحديث هذا الحديث بطريقة ثانية أقربها لفظ: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

وقريب من هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن نافع، عن عبد الله، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) ^(١).

إذن، فمن مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية، والأئمة اثنا عشر كما روى البخاري ومسلم، وهو محدد بأهله كما مر علينا من رواية البخاري ولا ينبغي منازعة الأمر أهله.

ولكن الإشكال في لفظ حديث رسول الله الذي رواه البخاري: (من كره من أميره شيئاً فليصبر).

والحق إن هذا الإشكال غير صحيح، فغاية ما يشير إليه هذا الحديث مراعاة نفسية بعض الصحابة وهو السياق والأسلوب الذي سار عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) والقرآن الكريم ^(٢).

فإن قسماً من الصحابة كانوا لا يطيقون ذكر اسم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والشواهد كثيرة جداً على ذلك، بل لو لم تكن هذه المسألة مترسخة في نفوس بعض الصحابة لما وجد لعن علياً على المنابر جهرًا نهارًا، ومن الصحابة من كان يصرح ببغض علي في زمن رسول الله، ومنها ما رواه البخاري نفسه: (عن عبد الله بن بريد، عن أبيه بعث النبي (صلى الله عليه وآله) علياً إلى خالد ليقبض الخمس وكنت أبغض علياً وقد اغتسل فقلت لخالد: ألا ترى

١- صحيح مسلم: ح ١٨٥١.

٢- قال تعالى: "ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك"، وقال تعالى: "ومن يدع مع الله إله آخر لا برهان له به"، وهل يمكن أن يكون هناك إله مع الله (استغفر الله) حتى يمكن أن يأتوا ببرهان على وجود إله مع الله وحاشاه. ولو نظرنا لحديث سابق في المبحث السادس "الا أن تروا كفراً بواحاً من الله فيه برهان"، ولا يعني هذا أن المعصوم يمكن أن يأتي بهذا الكفر البواح ولكن الرسول يضع ضابطة وإن كانت غير ممكنة الحدوث والوقوع كما رسمه القرآن في الآية السابقة.

إلى هذا ؟ فلما قدمنا على النبي (صلى الله عليه وآله) ذكرت له، فقال: يا بريد، اتبعض علياً؟
فقلات: نعم، قال: لا تبعضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك^(١).

وهذا عيئةٌ من كثير من أمثال هذا، بل وجدنا أن من أزواج النبي من هكذا صفتها وكان لها
مواقف أشهر من أن تذكر، نأخذ منها ما رواه البخاري، فعن عمرة بنت عبد الرحمن وكانت في
حجر عائشة زوج النبي فقالت عن عائشة: (إن النبي بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه
في صلاته فيختم "قل هو الله أحد" فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله)، فقال:
سلوه لأي شيء يصنع ذلك. فسألوه. فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي
(صلى الله عليه وآله): أخبروه إن الله يحبها^(٢).

فمن هذا الرجل !؟

رجل يقول فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن الله يحبه كيف لا يذكر اسمه، وهل يمكن أن
ينسى !؟

الحديث لم يذكر لنا أن عائشة نست الاسم بل لم يذكره، فلماذا !؟

والله ما من عاقل يحترم عقله يمكن أن يصدق أن عائشة تذكر الحديث كله وتذكر كلمة
رسول الله (إن الله يحبه) ولا تذكر اسم هذا الرجل.

نعم، تنساه أو تتناساه ولا تذكره؛ لأنه علي بن أبي طالب، وكأن عائشة تقول إني لا أطيق أن
أذكر هذه الفضيلة لعلي.

بل إن البخاري روى بشكل أكثر صراحة تعمد عائشة زوج النبي حذف اسم علي بن أبي
طالب (عليه السلام)، فقد روى عن عبيد الله بن عبد الله أن عائشة زوج النبي قالت: (لما ثقل
رسول الله (صلى الله عليه وآله) واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له فخرج

١- صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد، ح ٤٣٥٠ ص ٨٧٥ - ٨٧٦.
٢- صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي لأمنته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ح ٧٣٧٥ ص ١٤٨٨.

وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر، قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة، فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمه عائشة؟ قال: قلت: لا، قال ابن عباس: هو علي بن أبي طالب^(١).

وجاءت هذه الرواية بطرق مختلفة وفي موارد متعددة كلها متحدة في مسألة هي حذف اسم علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتعتمد عائشة عدم ذكره فكيف يرتجى بعد هذه الرواية أن تقول عائشة اسم من ورد في حقه إن الله يحبه في الرواية السابقة؟

وأعرضنا عن أصل الحديث وقول ابن عباس (إن عائشة لا تطب له نفساً بخير) كما في الطبقات لابن سعد ومسند أحمد بن حنبل. فإذا كان هذا حال عائشة زوج النبي فكيف لا يكون فيهم من يجهر ببغض علياً - كما مر علينا -، وكيف لا يؤثر هذا في قلوب الضعفاء فتكون لهم كراهية لحكم علي، فإذا كانت زوج النبي تقاتل علياً باللسان والسنان وحرب الجمل لطخة سوداء في تاريخ أمة سيد المرسلين بل إن عائشة لم تكف عن هذا إلى آخر حياة أمير المؤمنين، والشواهد كثيرة نختار منها ما رواه مسروق حيث قال: (كنت عند عائشة، فقالت: من قتل ذا الشدية - وهو كبير الخوارج الذين قاتلهم أمير المؤمنين في آخر حياته وقتلهم - قلت: علي بن أبي طالب، فقالت عائشة: لعن الله عمرو بن العاص فإنه كذب عليَّ يخبرني أنه قتله بالإسكندرية إلا أنه لا يعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فيه سمعته يقول: يقتله خير أمي بعدي)^(٢).

أنظر لهذا النص الصريح من عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله): (لا يعني ما في نفسي)، دقق في الحديث ترى التناقض بنفسه، ولعل من يقرأ هذا الحديث يقول إن عائشة أنصفت أمير المؤمنين بذكر هذا الفضل العظيم لعلي.

١- ذكرها البخاري في مواطن كثيرة من صحيحه فانظر كتاب الوضوء: باب الغسل والوضوء، ح ١٩٨ ص ٥٦؛ كتاب الأذان: باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ص ١٤٢؛ كتاب الهيئة: باب هداية الرجل لأمرته، ح ٢٥٨٨ ص ٥١٨؛ كتاب فرض الخمس: باب ما جاء في بيت أزواج النبي، ح ٣٠٩٩ ص ٦٢٨؛ كتاب المغازي: باب مرض النبي ووفاته، ح ٣٠٩٩ ص ٦٢٨؛ كتاب الطب: الباب الثاني والعشرون، ح ٥٧١ ص ١١٨٦.
٢- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٢ ص ٢٦٨.

والحق أن كلامنا حول الحقد وبغض علي بن أبي طالب وهو ما سبب سلب الخلافة وبالتالي ارتد الصحابة، كلامنا حول كلمة عائشة (ما في نفسي) على علي هذا هو الذي راعاه رسول الله في حديثه في أول هذا المبحث، ومع ذلك فإن عائشة لم تنصف علياً ابتداءً، ولمعرفة الحقيقة أجمع الحديث السابق بهذا الحديث: (عن مسروق، قال: قالت لي عائشة: إنك من ولدي ومن أحبهم إلى فهل عندك علم من المخدج؟ فقلت: نعم، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه تامراً ولأسفله النهروان، بين لخاقيق وطفاء، قالت: أبغني علي ذلك بينة، فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك، قال: فقلت لها سألتك بصاحب القبر، ما الذي سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيهم؟ فقالت: نعم سمعته، يقول: إنهم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة^(١)).

فما هذا التناقض العجيب، فمن جهة (يحبه الله)، و (خير أمتي بعدي)، و (خير الخلق والخليقة)، و (أقربهم عند الله وسيلة)، ومن جهة ثانية قيادة حرب الجمل عليه، والتصريح أمام الناس ومن يعتقدون بما (لا يمنعني ما في نفسي) عليه، وفي غير هذا (أما علي فلست قائلة فيه شيء). فإننا لله وإنا إليه راجعون.

فإذا كانت زوج النبي (صلى الله عليه وآله) تصرح بكره وحرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو الخليفة المنصوص عليه كما مر علينا ومن أنكروه ارتد، فماذا نقول لمن أوترهم علي في آبائهم وإخوانهم وأبنائهم في جهاده بين يدي رسول الله، فعلي كان قاتل أبطال العرب، وهذا ما ولد الضغينة في صدور الناس من علي بصورة ظاهرة أو باطنة، بل وصل حد البغض إلى حد تكفير علي بن أبي طالب وسبه على منابر المسلمين كما فعل الأمويون، فلأجل إبعاد الناس عن مسببات الضلال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من رأى من أميره شيئاً كرهه فليصبر، من كره من أميره شيئاً فليصبر).

وكأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال إن العيب فيك لا في حكم الأمير. وقد قال الشاعر:

١- تنزيه الانبياء للشريف المرتضى: ص ٢٠٢،

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقال الشاعر:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمدي وقد ينكر الفم طعم الماء من سقم

فأراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا الكلام أن البغض المترسخ في النفوس بإرادة أو بغير إرادة يكون هو المحرك للإنسان ومؤثر في إصدار قراراته، فراعى رسول الله هذا الجانب.

إلى هنا تبين أن خير البرية هو أمير المؤمنين ومن سار على دربه، ومن فارقه دخل في مورد ما دخلوا فيه.

* * *

ما يقوله القرآن

تحصّل من المباحث السابقة أن حركة ارتداد جماعية حصلت في أمة سيد المرسلين إلا من عصم الله وقليل ما هم حتى وجدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصفهم كهمل النعم.

وعلمنا أن هذه الحركة الارتدادية تكون بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وسبب هذا الارتداد منازعة صاحب الحق في ولاية الأمر علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ووجدنا رسول الله يشترط على أصحابه في بيعتهم له صلوات الله عليه أن لا ينازعوا الأمر أهله، فمن نكث هذا الشرط نكث بيعة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسنقف إن شاء الله على هذه النكتة تفصيلاً.

وعلمنا مما سبق أيضاً أن أصحاب الأمر هم (اثنا عشر) وكلهم من (قريش)، ونعيد القول إن هذا كله من صحيح البخاري حصراً لا من كاتب أو كتاب شيعي ولا يميل إلى التشيع.

وبعد هذا كله لنتقل إلى دليل آخر جديد وعلى ضوء شرطنا السابق أن يكون من القرآن الكريم ومن صحيح البخاري حصراً، والدليل هو ما روي عن أبي هريرة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمّتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراع بذراع. فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك)^(١).

ثم يروي لنا رواية ثانية عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن)^(٢).

١- صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب لتبعن سنن من كان قبلكم، ح ٧٣١٩ ص ٤٧٨. ٢- صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب لتبعن سنن من كان قبلكم، ح ٧٣٢٠ ص ٤٧٨.

ثم يروي لنا البخاري رواية ثالثة بنفس المضمون: (لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن) ^(١).

والحق إن هذا المعنى مما وافق القرآن الكريم وأجمعت كل الرواة عليه ومن جميع المذاهب، فمن موافقة القرآن آيات كثيرة، أوضحها: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]. ولا يتوهم أحد أن اختلافاً وقع في الأحاديث الثلاث، فالحديث الأول نظر إلى العرق، والحديث الثاني والثالث نظرا إلى الاعتقاد والمذهب.

إذن، علينا معرفة ما كان في الأمم السابقة كي نعرف ما حدث في أمة سيد المرسلين، بل وما سيحدث أيضاً، وخير القول قول ربنا وهو قص علينا قصص الأمم السابقة:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

ولا أعتقد أن مسلماً لا يقطع بصحة ما ورد في قصص القرآن الكريم، ولهذا لن يخرج عن قصص القرآن الكريم بإذن الله ليكون هادياً لمن طلب الهداية منه لكن لا يزيد المكذبين إلا خساراً.

﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا حَتَّىٰ يُخْرِجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا

هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٠﴾ [المائدة: ٢٠ - ٢٦].

يمنعنا من الوقوف التفصيلي في عرض الروايات هو شرط وجودها في البخاري، ولم يرو لنا البخاري مفتاح فهم الآيات، لكننا نقف على الحجة بنفسه أعني الظاهر الواضح من غير لبس.

فخذ بني إسرائيل في هذه الآيات الشريفة لم يكونوا سائرين بطاعة نبي الله موسى الكليم ولا وصيه هارون وإن كانوا أقروا بالظاهر بالطاعة. ونجد هذا المعنى في أمة سيد المرسلين، ففي حياة النبي (صلى الله عليه وآله) نجد الكثير من الاعتراض على رسول الله، كان منها اعتراض عمر على رسول الله ورفضه كتابة الوصية، وهذا الاعتراض مما رواه البخاري، حتى إن ابن عباس كان كلما يذكر هذه الحادثة يبكي حتى يبيل دمعه الحصى، وكان يقول معرضاً ب (عمر): (إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب) ^(١). وسنقف عليها في وقفة قادمة إن شاء الله.

وهذه المخالفة الصريحة من (عمر) كانت في زمن النبي، كما في بني إسرائيل ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ [المائدة: ٢٤]، (لا حاجة لنا بما حسبنا كتاب الله).

وإذا كان بنو إسرائيل تفرقوا عن موسى (عليه السلام) عند الحرب فإن أغلبية أمة محمد (صلى الله عليه وآله) تفرقوا عنه عند الأكل لا الحرب أو حسب زعمهم المجاعة وكأنها مسوغ لتركهم النبي فلم يبق مع النبي إلا عشرة رجال، وفي ذلك أنزل الله في سورة الجمعة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

وما كان منهم في الحرب أفضع وأعظم وإن كان قسماً منهم يستحق صلوات من الله.

١ - صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته، ح ٤٤٣٢ ص ٨٩٤.

أما من ناحية ترك وصي المصطفى وعصيان أمره فأعظم، ونتيجتها أشد وأنكل (إهم ارتدوا على أدبارهم)، كما حدثنا القرآن عن وصي موسى (عليه السلام)، انظر إلى قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿..... تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

ثم انظر لقوله تعالى في أمة سيد المرسلين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ومرت علينا الأحاديث في ارتداد الصحابة من صحيح البخاري فيساقون إلى النار جماعات جماعات، بل لا ينجوا منهم إلا مثل همل النعم، وهذا هو الانطباع الثاني من سنة بني إسرائيل في أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم إنَّ عموم اللفظ في الآية التي تخص أمة محمد: ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ يقابله ألفاظ العموم في آيات بني إسرائيل المتقدمة: ﴿يَا قَوْمِ ... وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ ... إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا...﴾ [المائدة: ٢١ - ٢٤].

إنَّ القرآن صرح بأن الذي واجه ارتداد أمة موسى مواجهة حقيقية رجالان فقط استحقا أن يخلدا في ذكر الله سبحانه: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا...﴾ [المائدة: ٢٣].

وكذا ما تبين من أمة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله)، ولأن البخاري لم يروِ أحاديث في فضل آل محمد (عليهم السلام) فلا مجال لمعرفة معنى: (الأرض المقدسة، باب حطة) من صحيح البخاري.

ولابد من الالتفات إلى أنه لن ينجو من سنة بني إسرائيل إلا من عرف المقصود منهما (الأرض المقدسة، باب حطة).

علماً أن رواية أبناء العامة رووا هذا المعنى عن الرسول، وأوضحوا المقصود، فأرجو الالتفات إلى هذه النقطة.

ولنطوي الملاحظات هنا بالتنبيه إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦].

وسبحان الله، في هذا المقطع تعاد سنة بني إسرائيل حرفياً (أربعين سنة) في أمة سيد المرسلين، فهذه العقوبة على بني إسرائيل لأنهم عصوا خليفة رسول الله موسى (هارون) ولم يتبعوا قوله تعالى: ﴿يُقِيمُونَ إِنَّمَا قُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠].

فكان من بني إسرائيل ما كان من معصية هارون مما قصّه علينا القرآن الكريم، وذهبوا إلى عبادة العجل، وللعجل أشكال مختلفة من قوم إلى قوم ومن زمن إلى زمن، هذا في أمة موسى الكليم فكانت عقوبة ذلك التيه.

أما في أمة سيد المرسلين، فبعد سلب الخلافة وعدم إطاعة هارون أمة محمد (صلى الله عليه وآله) كانت عقوبة التيه عليهم وبنفس المدة أربعين سنة، وما أدراك ما كان في سنة (٤٠) في أمة سيد المرسلين، كانت وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكان القرآن الكريم يقول لمن عاش تلك الفترة تيهوا أربعين سنة عن صاحب الحق الشرعي وهو بين أظهركم، وهو الذي أمركم رسول الله بالتسليم له وعدم منازعته الأمر، بل أمركم الله أن تأتوا نبيه سيد المرسلين عن طريقه.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها) ^(١).

وهل يمكن دخول المدينة إلا من الباب !!!؟

نعم، هي سنة وفاة أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى إذا مضى لربه دخلوا في قوله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

فلا يقبل من أحدهم ملئ الأرض ذهباً ولو افتدى به، وعندها يكون قول الوصي: (إلى النار والله) كما مر في صحيح البخاري، ويكون قول المصطفى: (سحقا سحقا) كما مر علينا.

ويمكن للقارئ اللبيب بعد هذا أن يمزج بين سلب الخلافة وبين دخول الأرض المقدسة، فيخرج بمحصلة معرفة معنى (الأرض المقدسة).

ومن الآيات التي أوضحت لنا مسيرة بني إسرائيل لنعرف منها سيرة أمة محمد (لتحذون)، (لتتبعن)، حتى تأخذ أمتي مسيرة بني إسرائيل (شبراً شبراً وذراعاً بذراع)، أو (شبراً بشبر وذراع بذراع):

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمُلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِي * أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٨٣-٩٤].

وهنا نجد التعبير القرآني يستخدم التعميم في الخطاب كما مر علينا سابقاً ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾، ﴿أَضَلَّهُمْ﴾، ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ﴾، ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾.

الخطاب يكون موجّه للقوم الذين ضلوا عن الولاية الإلهية، لكن كما تقدم أن هذا لا يعني عدم وجود المؤمن الناصر وإن كانوا قلة مستضعفة من الفئة الكبيرة الضالة، ولهذا قال هارون

(عليه السلام): ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، وقال: ﴿ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾ [الأعراف: ١٥٠].

إذن، إن من يقول إن أغلب أمة المصطفى ترد بعد الرسول هو القرآن الكريم بصورة مباشرة وغير مباشرة، وكذلك البخاري ومن روى هذه الأحاديث لا الشيعة فقط.

﴿اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾، طالع التاريخ لتقف على حقيقة الأمر، لا يهم أي تاريخ فالجميع روى ما كان من محاصرة بيت الصديقة الطاهرة وأمير المؤمنين (عليهما السلام)، وأيضاً منعهم حقهم واستضعافهم ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾، ومن بينهم البخاري نفسه في صحيحه.

أيها الناس، إن الفتن إن أقبلت شبّهت وإن أدبرت نبّهت، فتنّبها يرحمكم الله. وإن شاء القارئ عرّج على أمة عيسى (عليه السلام) من بعد رفعه ليقف على ما فعله النصارى بشمعون الصفا، بل عرّج على كل الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) ليرى كيف تسلب الأمم حق الأوصياء.

وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَّبِعُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ [الإسراء: ١٢] ^(١)، فكل الأمم التي مرت انقلبت على الأوصياء بدءاً من قابيل إلى ابن صاحب الوصيات ^(٢).

وهذا القرآن يصرح بانقلاب الأمم على الأوصياء عموماً، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنِ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً * فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ

١ - لمعرفة سبب هذه الآية هنا اقرأ تفسيرها في كتاب المتشابهات - للسيد أحمد الحسن اليماني الموعود.

٢ - صاحب الوصيات في زماننا هو الإمام المهدي (عليه السلام)، وبمجيء ابنه ووصيه ورسوله الى الناس (السيد أحمد الحسن) يستدير الفلك بإذن الله تعالى كما أخبر آل محمد (عليهم السلام)، روى النعماني بسنده: (عن المفضل بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما علامة القائم؟ قال: إذا استدار الفلك، فقيل: مات أو هلك، في أي واد سلك (... الغيبة: ص ١٥٩).

وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿ [مريم: ٥٨-٦٠].

هذه هي سنة الله إلى يوم الوقت المعلوم، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ومن شاء المغالطة والاعتراض فإنما اعتراضه على الله ورسوله، ولا أقول له إلا "من شاء فليؤمن بسنة الله ومن شاء فليكفر"، من شاء فليؤمن بحرص الناس على طول الخط على الامارة وكما حدث المصطفى (صلى الله عليه وآله): (ستكون بعدي اثرة وأمر تنكرونها).

هذه هي سنة الله في بني الدنيا في كل الأمم، وكما جرت في الأمم السابقة جرت في أمة سيد المرسلين، نسأل الله أن يعصمنا من ذلك وغيره، فطلبها باطل إلا أن يندبه الله لها، فلا ينبغي منازعته؛ لأنها بئس الفاطمة لمن طلبها بنفسه.

وفي الختام أقول: لا تكن في هذه أعمى، فإن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا * وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٣١].

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله على رسوله المؤيد المنصور المسدد الحاشر الناشر، وعلى آله أعلام الورى والعروة الوثقى، ولا سيما المخصوص بالأخوة والوصية أبي الأئمة الأطهار المرتضى الكرار علي بن أبي طالب، والله من وراء القصد.

الفهرس

٧	الإهداء
٩	التمهيد
١٣	المقدمة
١٧	المبحث الأول: الصحبة والأصحاب
٢١	المبحث الثاني: مع ما رواه البخاري
٢٦	المبحث الثالث: هل من مزيد
٣٣	المبحث الرابع: من هو الولي
٣٩	المبحث الخامس: سبب الارتداد ورجوع القهقري
٤٧	المبحث السادس: خير البرية
٥٤	المبحث السابع: شبهة وردها
٦٠	المبحث الثامن: ما يقوله القرآن
٦٩	الفهرس